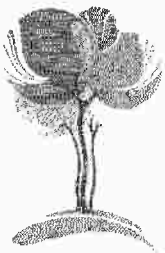

عودتي إلى الحياة

تجربة شاب مع مرض السرطان

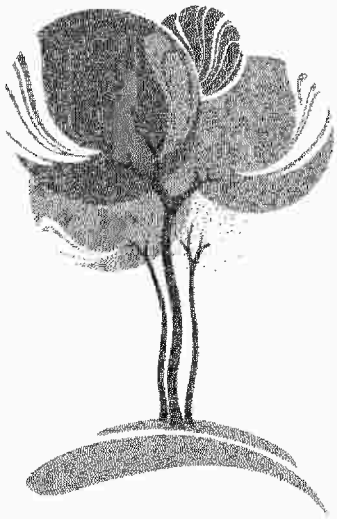

عودتي إلى الحياة

تجربة شاب مع مرض السرطان

حمود جاسم عبدالله حمود

العبيكان
Obeikan

العبيكان، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

حمود، حمود جاسم.

عودتي إلى الحياة.

حمود جاسم حمود - الرياض، ١٤٣٥هـ.

١٥٢ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٩-٦٨٤-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- القصص الاجتماعية. ٢- السرطان - قصص.

أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٠٨٣٥٩٥٣١ رقم الإيداع ١٤٣٥/٥٣٣٤

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٠٨٠٩٥

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٨٩٠٢٣

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

www.obeikanretail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

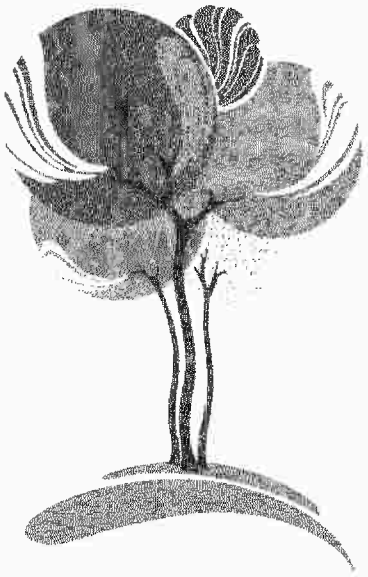

أرقى النفوس هي التي تجرعت الألم،
فتجنبت أن تذيق الآخرين مرارته.

المحتويات

إهداء وشكر. ٧

لماذا عدت؟ ١٣

جرس الإنذار. ١٧

ودخلت طريق الحرير. ٢١

أزمة وتساؤلات. ٢٥

علاج في رحم الغربة. ٢٩

موعد مع القضاء والقدر. ٣٣

تغيير المستشفى. ٣٩

اجتماع مهم. ٤١

خارطة الطريق. ٤٣

لنبدأ. ٤٧

الناس معادن. ٥٩

مقاومة التغذية بالأنبوب. ٦١

المرحلة الثانية من العلاج: إشعاع الأمل. ٦٧

زيارة في موعدها. ٨١

التحدي الرابع .. منتصف الطريق. ٨٧
جرس الأمل. ٩٩
وداع أمي الأخير. ١٠٣
شهر عسل. ١٠٥
تواصل الأحباب. ١٠٩
أمل على الرغم من الألم. ١١٣
ترقب وحسم. ١١٧
انتصار واستحقاق .. ثوان حاسمة. ١٢١
وتحلو الحياة. ١٢٥
عودة محارب. ١٢٩
نهاية البداية. ١٣١
نصيحتي لمريض السرطان. ١٣٣
ماذا يحصل بعد الكيماوي؟. ١٣٩
ماذا يحصل بعد الإشعاع؟. ١٤١
نصائح لأقارب المريض وأصحابه. ١٤٣
كيف تعرف أنك مصاب بمرض السرطان؟. ١٤٧
السيرة الذاتية للمؤلف. ١٥١

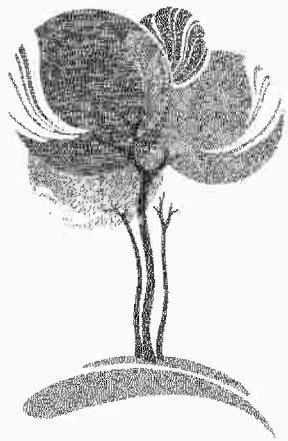

إهداء وتشكر

إلى جنتي وقرة عيني والدي ووالدتي
اللذين لن أوفيهما حقهما.

وإلى زوجتي الحبيبة التي صمدت معي،
وعملت على رعايتي طوال مدة علاجي.

وإلى والدي زوجتي العزيزين.

وإلى الفريق الطبي وكل من وقف معي
في رحلة عودتي.

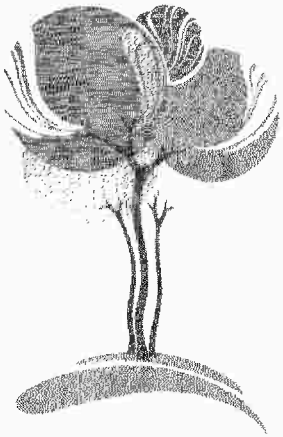

لماذا عدت؟

(عودتي إلى الحياة) ليست رواية من نسج الخيال، بل رحلة علاجي من مرض سرطان (البلعوم الأنفي) كتبتها كما خبرتها بدقائقها وساعاتها وأيامها، تحكي معركة لم أتمنَّ أن أخوضها يوماً، لكنه كان علي مواجهتها، هي حكاية شاب ابتلي بمرض السرطان بعد مرور أربعة أشهر من زواجه، حكاية صبر ويقين ممتزجين بالأمل والتفاؤل، تجربة مريرة من حياتي، فمن السهل على الإنسان الكتابة عن موضوع يحبه، لكن من الصعب الكتابة عن خيار لم يختره بذكرياته وآلامه الموجعة، صَعُبت علي كتابتها في بادئ

الأمر، استرجعت معها لحظات مريرة، وهي تجربة استغرقت كتابتها ثلاث سنوات متقطعة.. فعودتي إلى الحياة لم تكن تجربة سهلة.

عودتي هي رسالة لكل من ابتلي بهذا المرض العضال، ورسالة لكل عائلة يعاني أحد أفرادها هذا المرض، أحاول من خلالها اختصار طريقهم للاستفادة من تجربتي. فالبلاء امتحان من الله سبحانه وتعالى وتطهير من الذنوب ورفعة للدرجة، كما قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا همّ، ولا حزن، ولا أذى، ولا غمّ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه»[1].

وقال أيضاً: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها»[2].

تستحق منا هذه البشارات الصبر على كل هذه الآلام والأوجاع والأعراض الجانبية طمعاً في ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فالسرطان مرض

(١) أخرجه البخاري (رقم ٥٦٤١/ ٥٦٤٢) ومسلم (رقم ٢٥٧٣).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٩٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٥).

كغيره من الأمراض، لكنه يحتاج إلى إيمان بقضاء الله وقدره وحسن الظن به، وأن يكون لديك تفاؤل ونفس طويل وسعة بال.

وتجربة الفرد مع مرض السرطان ليست تجربة عادية، وتتطلب صبراً ووعياً وتفهماً ليس من حيث تعاطي المريض مع مرضه، وإنما تلك الحاجة التي يخلقها المرض عند الفرد في حاجته إلى الآخرين في رعايتهم وفي مساندتهم النفسية والاجتماعية، كتبت حروفها المؤلمة من القلب إلى القلب، والله أسأل أن يفتح قلوب الأحباب لاقتنائها وإهدائها للمصابين بالمرض بقصد رفع عزيمتهم ودعم صبرهم ولإخواني وأخواتي المرضى الذين يصارعون أي مرض كان.

وإذَا بُليتَ بمِحْنَةٍ فَالْبَسْ لَهَا
ثَوْبَ السُّكُوتِ فَإنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ
لاتَشْكُوَنَّ إلَى الْعِبَادِ فَإنَّمَا
تَشْكُو الرَّحِيمَ إلى الَّذي لَا يَرْحَمُ

زين العابدين بن الحسين

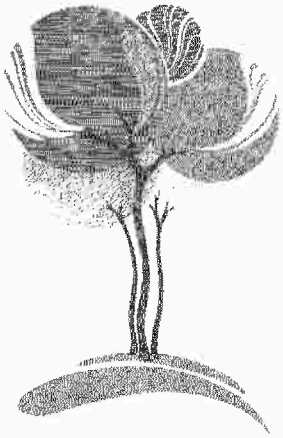

جرس الإنذار

استيقظت صباح ذلك اليوم للعمل، فشعرت بآلام في حنجرتي وارتفاع في درجة الحرارة، كأعراض الإنفلونزا المعهودة التي تصيب أي إنسان، قمت بالاتصال بمسؤولي في العمل، واعتذرت؛ لعدم مقدرتي على المجيء ذلك اليوم، أعطتني زوجتي حبة البندول ظنّاً منها أنها قد تخفف حرارة جسدي، جلست في المنزل منهكاً من الإنفلونزا إلى وقت صلاة الظهر، بعدما انتهيت من أداء الصلاة في المسجد توجهت إلى المركز الصحي القريب من منزلي؛ لأخذ العلاج اللازم، وضعت يدي مصادفةً

على رقبتي، وأنا في طريقي إلى المركز الصحي، شعرت بجزء غريب تحت الجلد حجمه بحجم حبة العدس، لم أعره أي اهتمام، اتصلت بي أمي للسؤال عني، فأخبرتها بما وجدت على رقبتي، فأخبرتني بأنها قد سمعت منذ مدة قليلة بحدوث أمر مشابه عند أحد أفراد عائلتنا!!

دخلت على الطبيب، وفحصني الفحص المعتاد، وكتب لي وصفة طبية، حينها تذكرت حبة العدس، فأخبرت الطبيب عنها، فقال لي: ربما يكون هناك التهاب في الغدة اللمفاوية، وهذا ناتج عن الإنفلونزا!! وإن شاء الله ستذهب بعد أخذ الوصفة التي كتبتها لك!!

ثلاثة أيام متواصلة ودرجة الحرارة في ازدياد، وكانت لا تقل عن ٣٩°، لم يكن هناك نتيجة للأدوية التي أخذتها، ولم أذهب إلى العمل، نصحتني زوجتي بالذهاب الى إحدى العيادات الخاصة، ذهبنا معاً إلى العيادة الخاصة، وهناك قال لي الطبيب: لديك التهاب في الغدد اللمفاوية، وقرر استبدال المضاد الحيوي الذي أعطاني إياه طبيب المركز الصحي،

ونصحني بالعودة إليه بعد أسبوعين إلى شهر إن لم تذهب الغدة اللمفاوية الصغيرة لأخذ عينات من الدم....

ازدادت أعراض الإنفلونزا مع الأيام، وازداد معها حجم الغدة وتغيبي عن العمل، انقطعت عن ممارسة هواية الجري والنادي الصحي، جلست مرة أتحدث مع والدتي في صالة المنزل، فسألتني عن الحبة الصغيرة التي أخبرتها عنها قبل أيام عدة، فأجبتها بأنها لاتزال موجودة، ولكنها لا تؤلمني، وقد نبهني الطبيب إلى أنها إن لم تذهب خلال شهر أرجع إليه لأخذ العينات، نصحتني بمراجعة طبيب متخصص في الغدد والأورام للحيطة والحذر، فقلت: تفاءلي بالخير يا أماه، وإن شاء الله ستزول، ولا توسوسي، فإن الوسوسة من الشيطان...

مرت الأيام، وكان حجمها في ازدياد، كنت دائماً ما أشعر بالحر والتعرق الكثير ليلاً وأنا نائم، حينها كانت إجازة عيد الأضحى المبارك، وكانت الإجازة طويلة، فالعيادات والمستشفيات مغلقة رسمياً مدة تقارب الأسبوع، لا أعرف ماذا أفعل، أخبرت والدي

بقلقي، فاتصل بصديق له من الأطباء العاملين في أحد المستشفيات، سرد له حالتي، فنصحنا بأن نسارع في عمل الفحوص اللازمة؛ تجنباً لما هو أسوأ.

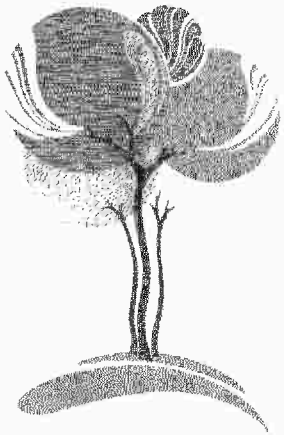

ودخلت طريق الحرير

توجهنا للمستشفى، وبدأنا بالتحاليل، ثم عمل الأشعة فوق الصوتية والنتيجة كانت سلبية، ثم أخذوا مني عينة بالإبر الدقيقة، حيث يتم إجراؤها، حين وجود تورم أو كتلة غير طبيعية، وكانت نتيجتها أن حجم أنسجة الغدة اللمفاوية غير طبيعي، طلب مني بعد ذلك عمل الأشعة المقطعية، واختتم الطبيب تقريره بأني في حاجة إلى عملية جراحية لأخذ عينة من الغدة تؤخذ فيها خلايا أو أنسجة عينة للتحليل لتفحص في المختبر، فتمّ تحويلي للطبيب المختص في الجراحة لعمل إجراءات العملية.

المدهش في الموضوع، أنني كنت قد أصبت بقطع في الرباط الصليبي، وكان موعد العملية الجراحية في بداية شهر ديسمبر، سألت الطبيب الجراح: «هل ألغي عملية الرباط الصليبي، أم أنه بإمكاني تأجيلها؟» وكانت إجابته غريبة لاتعكس كونه طبيباً، إذ قال: «لا تؤجل العملية، واطلب من طبيب العظام أن يأخذ عينة من الغدة التي في الرقبة!!».

كيف لطبيب العظام أن يأخذ عينة من غدة لمفاوية؟! لا يوجد أي ارتباط بين التخصصين! لاحول ولا قوة إلا بالله.

قررت أن ألغي عملية الرباط الصليبي، وأجريت عملية عينة الغدة في صباح اليوم اللاحق، ثم عدت الى المنزل مساء، علماً بأن مدة تلك الفحوص تجاوزت الشهر! والأعراض كانت في ازدياد مستمر.

أُخذت العينات إلى مختبر مستشفى السلمانية الطبي بداية شهر ديسمبر، وأُخذت مني عينات من الدم، كان ترددي لأخذ عينات الدم كل أسبوع! وأنا في انتظار نتيجة العينة التي تم أخذها جراحياً، مر

شهر، ولم تظهر لنا أي نتيجة، والأطباء يقولون: إن صحتي سليمة، وإنه مجرد فيروسات! أُرسلت العينات إلى ألمانيا؛ لأسباب هم أعلم بها...

الحمد لله أنني شخص أحب التطلع، كنت أبحث في الإنترنت طوال تلك المدة عن أسباب أعراضي، فالتعرق كان في ازدياد، والحرارة مرتفعة جداً، وازدياد حجم الغدة سبّب لي اختناقاً في القصبة الهوائية أدى إلى هيجان مرض الربو لدي وصعوبة في الأكل للسبب نفسه... وأصابني إغماء مفاجئ في أثناء حديثي مع والدي في صالة المنزل خلال هذه المدة العصيبة، وذلك أثار مخاوفنا، وجدت في الإنترنت الأعراض التي لدي، وكانت أعراضاً مشابهة لمرض الهودجكن، وهو مرض سرطاني يصيب الغدد اللمفاوية في الجسم، انتابتني الشكوك، فذهبت مع والدي إلى طبيب آخر أكثر اختصاصاً في مجال الغدد والأورام، فحصني الطبيب وطلب مني إجراء المزيد من الفحوص؛ لأن الطبيب لا يستطيع استنتاج أو عمل أي شيء إلا عن طريق الفحوص، مع الأسف الشديد أن جميع الفحوص تشير إلى

عدم إصابتي بأي مرض، وكنت أشعر أن بداخلي أشياء غير طبيعية، وتناقشت مع الطبيب عن مرض الهودجكن، وكانت لدى الطبيب بعض الشكوك تحوم حول الهودجكن، لكنه كان ينتظر نتائج فحص العينات.

وبعد أيام قليلة قرر الطبيب أن يرفع يديه عن علاجي بحجة أن الموضوع لا يندرج تحت تخصصه! أيعقل هذا الكلام؟! ألم يكن من المفترض أن يقول هذا الكلام من البداية؟!

ذهبت في هذه الأثناء إلى جراح أنف وأذن وحنجرة في أحد المستشفيات الخاصة، قال: الأشعة لا تظهر لنا شيئاً، وأنا أرغب في استئصال الغدة التي يبلغ حجمها ٦ بوصات (إنش) جراحيّاً؛ لتحليلها في المختبر! فتركته، وتركت علاجه؛ لأن اقتراحه ذكرني بعمل الجزارين (القصابين) وعدت إلى البيت تساورني الشكوك، وتتضخم لدي المخاوف.

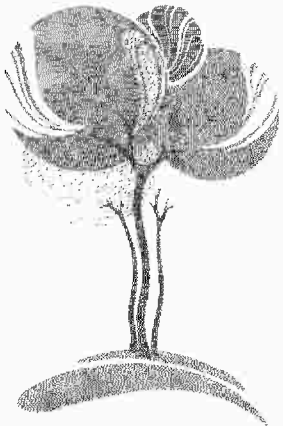

أزمة وتساؤلات

ازدادت الأعراض، ولم أعد قادراً على ممارسة حياتي الطبيعية، فلم أستطع الذهاب إلى المسجد، أو العمل، أو الأماكن التي اعتدت ارتيادها، كنت أتردد على طوارئ المستشفى العسكري بشكل يومي، وكانت الفحوص تتكرر (سحب الدم وأدوية وريدية لتخفيف أعراض ارتفاع الحرارة) بلا فائدة؛ لأن النتيجة لا تظهر شيئاً جديداً، وتم تحويلي إلى الجناح لمتابعة حالتي الصحية ولتخفيف ارتفاع درجة الحرارة.

مكثت في المستشفى ثمانية أيام، وكانت من أصعب الأيام التي مرت علي في حياتي، علاجي معروف

أو لم يتوصل إليه الطب بعد! استخدمت جميع العروق التي في يديّ بسبب الفحوص وحقن الأدوية الوريدية، وكل طبيب يفحصني يدلي بدلوه، ويخرج كما دخل! إلى أن جاء ذلك اليوم الذي ثار فيه غضبي بسبب الطبيبة التي لم أرَها! طلبت قبلها من ممرضة الجناح أن تستدعي لي طبيبي الذي يعالجني من مرض الربو؛ كي يفحصني، وهو في المستشفى نفسه، فضيق التنفس كان شديداً، وهو أعلم بحالتي، أتتني بتلك الطبيبة التي وقفت عند باب غرفتي! نظرت إلي من الخارج وذهبت، وبعد دقائق قليلة سمعت أصواتاً غريبة عند باب الغرفة! أصوات الشريط اللاصق! طلبت من أختي وزوجتي سؤال الممرضة، فأجابتهما: طلبت منا الطبيبة عزل زوجك؛ لأنها تشك في إصابته بمرض إنفلونزا الخنازير! لصقوا إعلان العزل على الغرفة والكمامات والقفازات للذي يود الدخول! يا للأسف... يتم توظيف هؤلاء المتدربين، ويكلفونهم بأمور الاستشاريين، فيشخصون المرضى دون معاينة، وفي اليوم اللاحق أخذوا مني عينات؛ للتأكد من خلوي من إنفلونزا الخنازير، وحجم

الغدة كان كبيراً، ولم يديروا لها بالاً، وكانت نتيجة الفحص عدم إصابتي بإنفلونزا الخنازير.

وفي خلال مدة نومي بالمستشفى، كنا في حالة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، أبي الذي كان له الدور الكبير في البحث عن علاجي، حاول مرات عدة التقديم لقبولي بمستشفى متخصص في دولة مجاورة، لكن مع الأسف الشديد كانوا يرفضون حالتي من دون سبب، راسل كثيراً من المستشفيات خارج البلاد، وجهود أهل الخير معنا للوصول إلى حل للأزمة الصحية، أعراض غريبة وغدة كبيرة، ولا يوجد من يشخص حالتي، إلى أن جاء رد نتيجة فحص العينات من ألمانيا، ، وكان رد ألمانيا كالقاصمة؛ لأن الجواب كان مبهماً، فلا يعطي حقّاً ولا باطلاً، قالوا: إن الغدد ليست لمفاوية فقط!

راودني إحباط شديد... هل أنا مريض؟ هل هذا التهاب؟ هل..هل..هل.. ملأتني التساؤلات، فالأطباء كانوا يقولون: إني سليم من أي مرض، وحجم الغدة كان في ازدياد مستمر، ولا يوجد من يحل هذا اللغز الطبي!

يقول الشاعر:

ثلاثٌ يَعِزّ الصَبْرُ عندَ حُلولها
ويَذْهَبُ عَنْهَا عَقْلُ كُلِّ لَبِيبِ
خُرُوجُ اضْطِرارٍ من بِلَادٍ تُحِبُّها
وفُرْقَةُ خِلّانٍ وفَقْدُ حَبِيبِ

Obeikandl.com

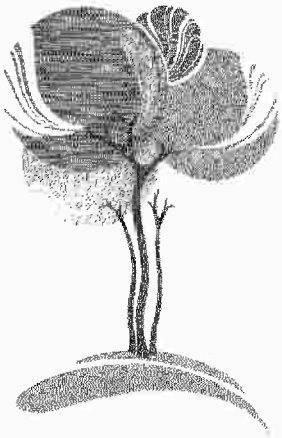

علاج في رحم الغربة

سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في شهر يناير من عام ٢٠١٠م بمرافقة أبي وزوجتي، وكان بالي مشغولاً خلال الرحلة، تشتت مخيلتي بسبب المجهول والتفكير فيما هو قادم، طريقة التشخيص ونتائجه والكثير من الأفكار التي كانت تراودني وتحلق معي في أثناء الرحلة، وبعد أن حطت الطائرة، وتسلّمنا الحقائب تم استقبالنا في المطار من قبل فريق المستشفى، توجهنا بعدها مباشرة إلى المستشفى، وأدخلوني الجناح المختص بأمراض الغدد والسرطان، استقبلونا بحفاوة وترحيب، وواجهت موقفاً لا أتمنى مواجهته، قامت إحدى

أفراد طاقم المستشفى بمدّ يدها لمصافحتي، شعرت بالإحراج، ووضعت يدي على صدري، وقلت لها: «أنا آسف! أشكرك على حسن استقبالك لي، لكنني أمتنع عن مصافحة النساء؛ لأن مبادئ ديني تمنعني من ذلك» ربما كان الأمر محرجاً لي ولها، لكنني لا أستطيع التنازل عن مبادئ ديني.

ثم حضر الفريق الطبي المعالج؛ لمعاينتي والسؤال عن حالتي بالتفصيل الممل، طلب الأطباء عينات الغدة والأشعة التي تم أخذها في البحرين، فوجئوا بأن شرائح العينة كانت ناقصة!! وصور الأشعة لم تكن واضحة! فتم طلب العينات الناقصة من البحرين وطلب إعادة أغلب الفحوص مرة أخرى، قاموا بإعلامي بخطة الفحوص المقررة، وأرسلوا بعدها المختص بسحب عينات الدم، ففوجئ باستخدام معظم عروق يديّ لدرجة أنه كرر محاولة غرز الإبرة نحو خمس مرات ليحصل على دمي المشتعل بلهيب الحرارة المرتفعة.

استيقظنا صباحاً، وكانت قائمة الفحوص الطويلة في انتظاري، أشعة مقطعية وفوق صوتية وكثير من الفحوص اللازمة لتشخيص اللغز الذي حير الجميع.

المؤسف في الأمر أن حالة الطقس كانت باردة وشاء الله ألا يسقط الثلج طوال فصل الشتاء تلك السنة، وكنا أنا وزوجتي متشوقين لرؤيته؛ لأننا لم نشاهده قط، سألت المرضة: هل انتهى موسم الثلج عندكم؟ أجابتني بأن وقت نزول الثلج السنوي قد انتهى بحسب علمها! شعرنا بالضيق؛ لأننا وصلنا إلى بلاد الثلج ولم نشاهده، انتهى نشاط ذلك اليوم، وكانت أمنيتي قبل أن أنام أن أرى الثلج.

وكانت المفاجأة بعد يومين، نظرت صباحاً نحو النافذة، فرأيت أشياء صغيرة وغريبة تنزل من السماء أثارت تساؤلي؟ ما هذه الأشياء الصغيرة؟ ثم ازدادت، وازدادت، وملأت (البلكونة) بالبياض، صرخت وقلت: «نزل الثلج» أتت زوجتي مسرعة، وفرحت بالمنظر الأبيض، ناديت المرضة لاستئذانها بالخروج إلى الثلج، فمنعتني بسبب الكتابة التي على ربطة اليد، كان مكتوباً عليها (مريض معرض للإغماء) بسبب تعرضي للإغماء نتيجة تضخم الغدة قبل سفري إلى أمريكا، قلت لها: إنه حلمي لاتمنعيني، أعادت إجابتها بالرفض، انتظرتها تخرج،

لبست الملابس الثقيلة، تقدمت قليلاً... لا وجود للعاملين، وجدت أمامي منظراً مدهشاً للغاية، قفزت من نافذة الغرفة المطلة على (البلكونة) وكان ممنوعاً بحسب قانون المستشفى وخطراً على صحتي، حاول والدي منعي، لكنه الجنون... لم أتمالك نفسي، وقمنا بالتقاط الصور لذكرى رؤية الثلج الأولى في حياتنا...

الهي لم يخب عبدٌ يظنُّ فيك أمَله

عجلان ثابت

arabic.99.com

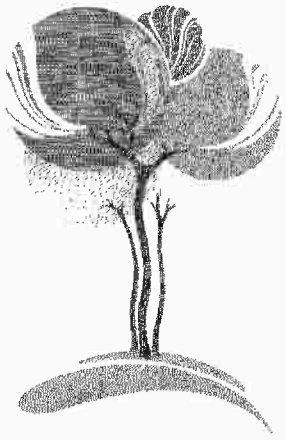

موعد مع القضاء والقدر

ثلاثة أيام مضت في انتظار نتائج الفحوص والتحاليل كانت كفيلة بالحصول على المراد، دخلت علينا الطبيبة مع مساعدتها، وطلبت منا الاستماع للنتائج، أخبرتنا بطريقة مباشرة بأنني مصاب بمرض سرطان البلعوم الأنفي، وأنه في مرحلة متقدمة، وانتشر إلى الغدد اللمفاوية...!! لم أستوعب ما قالته، أمرتها بإعادة شرح النتائج مرة أخرى إلى أن استوعبت الموضوع...

كانت صدمة لا تصدق... أصابتنا بالذهول، ففي الماضي كنا نسمع بمرض السرطان، واليوم أنا مصاب بالسرطان.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

أحمد الله على نعمة الرضا بالقضاء والقدر، أنا... وأبي ... وزوجتي لم نجزع ولم نبك، وكأن شيئاً مسح على قلوبنا، فمن الطبيعي تأثر الإنسان لإصابته بهذا المرض، ولكن يجب علينا الرضا بقضاء الله وقدره؛ لأن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، فالله سبحانه وتعالى لا يبتلي إلا من يحب، والله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم، وهو أرحم بالعبد من نفسه ووالدته، وعلينا أن نصبر، ونحتسب الأجر الذي سنجنيه من هذا الامتحان، يقول المولى جل جلاله في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ فالبلاء يصيب الجميع، ولكن البشارة لا ينالها إلا الصابر.

يقول ابن سعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم الذي هو أرحم بعبده من نفسه ووالدته، فيوجب له ذلك الرضا عن الله والشكر له على تدبيره؛ لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا، واحتسبنا

وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر.....

وردت الكثير من التساؤلات في أذهاننا، تذكرت أمي... كيف ستكون ردّة فعلها؟! وما الطريقة المناسبة لتوصيل الخبر؟ تذكرت أفراد عائلتي وأحبائي... ماذا أفعل... ما الطريقة المثلى لإيصال الخبر إليهم؟ فكرت في المستقبل والوظيفة ودراسة زوجتي الجامعية وفي خططي وأهدافي التي كنت أسير نحو تحقيقها والكثير والكثير من الأفكار التي كانت تراودني.... أخذت نفساً عميقاً، ثم جلست.. وهنا حصل أمر عجيب غريب! فتحت المصحف بشكل عشوائي، فأتت عيناي مباشرة على آخر آيات سورة الطور: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾.

يا الله! أحقيقة أم خيال؟! أصبت بالذهول واقشعر شعر جسدي، شعرت بالدهشة والاستبشار.. أحسست بأنها رسالة مباشرة لي، وكأنها تقول: اصبر على المرض، وأكثر من ذكر الله، وقم الليل بالصلاة، والدعاء وستشفى من المرض بإذن الله!

فلو قال لي أحد ممن أثق به: (إنك في عيني) سأشعر حينها بالأمان والسعادة، فكيف إن جاءت من عند الله، يا ربّ، لك الحمد، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك...

قلت في نفسي: لماذا أشغل نفسي بحمل هم المرض وبالأفكار السلبية ما دمت في عناية الله؟ لذلك قررت وبإصرار أنني سأواجهه بشراسة حتى يعجز الصبر عن صبري... حمدت ربي على هذه الرسالة المباشرة السريعة..

ثم تشاورنا في طريقة توصيل الخبر لأمي، كنت حريصاً على صحة أمي، فقررت الاتصال بأحد أخوالي، وأخبرته بالخبر، فحزن حزناً شديداً، وأخبرته بأن يذهب إلى والدتي في البيت ليخبرها بالخبر، وأن يمنع جميع أفراد العائلة عن زيارتها ذلك اليوم؛ لئلا ينقلب البيت إلى مجلس عزاء، وقام مشكوراً بذلك...

ووصل الخبر بعدها إلى أفراد الأسرة والأحباب، وكانت ردّة أفعالهم مختلفة، ربما يفضل البعض

كتمان إصابته بالمرض عن الناس، لكنني قصدت من إعلام الناس بالخبر أن يدعوا لي بالشفاء...

قامت الطبيبة بعدها بإجراء كثير من الفحوص الاستباقية لعلاج مرض السرطان، عملت أشعة للقلب، لقراءة مدى صلابته في تحمل الأدوية، وأشعة للهيكل العظمي؛ لقياس كثافة العظم، وعملت أيضاً أشعة الـ PET scan التي ترسم للأطباء أماكن انتشار المرض في الجسم، لكنني لم أواصل عمل الفحوص الأخرى؛ لأسباب أثارت ريبتنا.

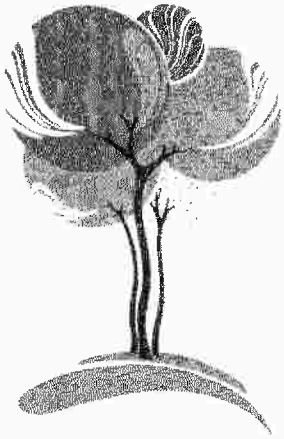

تغيير المستشفى

قمنا بطلب تغيير المستشفى لأسباب عدة، فالمستشفى الذي أرسلت إليه لم يكن ضمن قائمة تصنيف العشر الأوائل للمستشفيات الأمريكية المتخصصة في علاج الأمراض السرطانية! وكانت المنطقة المحيطة بالمستشفى غير آمنة، وكان أطباء المستشفى يقطنون في الولايات القريبة من المستشفى للسبب نفسه، ونصحونا بالسكن في ولاية نيويورك التي تبعد مسافة الساعة عن المستشفى لقربها من ولاية نيوجيرسي والمجيء إلى المستشفى باستخدام القطار يوميّاً، وإدارة المستشفى نفسها أخطرت

أبي بعدم الذهاب الى السوبرماركت إلا بصحبة رجل الأمن! وما إن وصل الخبر إلى سفارة مملكة البحرين حتى قاموا مشكورين بنقلي إلى مستشفى جونز هوبكنز الواقع في مدينة بالتيمور بولاية ميرلاند..

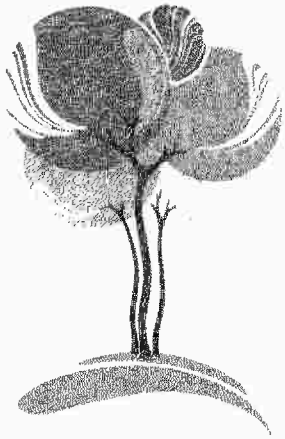

اجتماع مهم

ذهبنا إلى مدينة بالتيمور التي يقع فيها مستشفى جونز هوبكنز، وكانت بيضاء بسبب العاصفة الثلجية التاريخية، فكانت المرة الأخيرة التي مرت عليها هذه العاصفة قبل ٢٠ سنة! وكان البياض جميلاً، يشعرنا بالراحة النفسية؛ لأننا نشاهد الثلج، ونلمسه.

وشاء الله أن يصادف مجيئي اجتماع فريق الأطباء الشهري، حيث يجتمع أطباء متخصصون في هذا المجال، لله الحمد والمنة كان التيسير موجوداً في كل مكان، فمن يتقي الله يجعل له من أمره يسراً.

دخلنا إلى غرفة الأطباء، وقابلونا بالتحية والترحاب، تكرر الموقف المحرج مرة أخرى مع طبيبة

الأورام (مصافحة اليد) وكانت ردّة فعلها عادية، وتقبلت الموقف بصدر رحب! جلست وسط مجموعة الأطباء، طلبوا مني سرد قصتي بالكامل؛ ماذا حصل وكيف، والخ... ثم طلبوا مني تقارير مستشفى نيوجيرسي وفحوصها؛ للاطلاع عليها، وطلبوا أيضاً العينات التي أُخذت من الغدة في البحرين؛ لتحويلها للمختبر، جلسوا معي قرابة الساعة بين السؤال والجواب، ثم خرجوا من الغرفة ليتشاوروا فيما بينهم لأخذ القرار اللازم للعلاج؛ وبعد التشاور قرروا أخذ عينة من نخاع العظم، وهو من أهم الفحوص التي تعطي قراءات دقيقة للأطباء عن أمراض الدم والورم اللمفاوي، حيث يتم أخذ خزعة (عينة) من نسيج العظم مباشرة من منطقة الحوض عن طريق حفر مؤلم غير غزير عن طريق إبرة كبيرة مشابهة لل(سكروب).

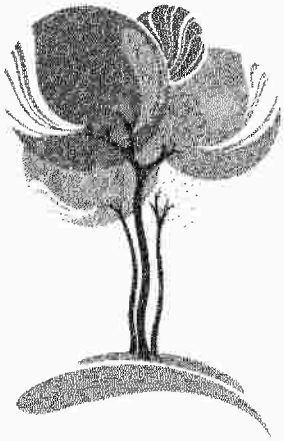

خارطة الطريق

بعد ظهور كل النتائج، قرروا البدء في العلاج بأسرع وقت ممكن؛ لتدارك انتشار المرض، فمرحلة السرطان كانت متقدمة جداً (المرحلة الرابعة) بسبب التأخير في تلقي العلاج!

يتكون علاج سرطان البلعوم الأنفي Nasophryngial carcinoma المنتشر إلى الغدد اللمفاوية من:

١- العلاج الكيماوي.

٢- العلاج بالإشعاع.

٣- التدخل الجراحي.

فتم تحديد العلاج الكيماوي والعلاج بالإشعاع؛ واختاروا تأجيل التدخل الجراحي بوصفه ورقة

أخيرة إن لم أوفق في الخطة الأولى! تم توزيع العلاج الكيماوي على ٦ مراحل يفصل بينها ٢٥ يوماً، ويتم إعطائي ٣ أنواع كيماوي في كل مرحلة، وجعلوا العلاج الإشعاعي في منتصف مرحلة الكيماوي؛ ليجد الكيماوي فرصته في تقليص حجم الغدد!

ومن التطور الطبي لتفادي تجرع مرارة غرز الإبر في اليد، تم وضع قطعة صغيرة الحجم تسمى الـ chest port تحت الجلد في منطقة الصدر بالتدخل الجراحي، وتوصل بالأدوية اللازمة عن طريق إبرة خاصة تغرز بها في الأوقات اللازمة للعلاج... وشاء الله وقوع عاصفة ثلجية قبل موعد عملية الـ chest port بساعات قليلة، ويمنع القانون استخدام سيارات الصالون في أثناء هذه الأوقات، فقام الأخ رضا منسق المستشفى بأخذنا بسيارته الخاصة إلى المستشفى؛ حرصاً منه على عدم فوات موعد إجراء العملية، ونجحنا في الوصول بسلام، دخلنا إلى جناح الحالات اليومية، قاموا بسؤالي عن حالتي الصحية، وإن كنت أعاني أمراضاً مزمنة والأدوية التي أتناولها باستمرار وكثير من الأسئلة، ثم جاء الطبيب ليشرح طريقة إجراء العملية وآثارها الجانبية إلى جانب

الأخطار الممكن حدوثها في أثناء العملية التي تكون نسبة وقوعها قليلة جداً، ودّعتني زوجتي وأبي، وتوكلت على الله، دخلت إلى غرفة العمليات بتخوف، كانوا يتحدثون معي ويمزحون؛ لإذابة حاجز الخوف، أفقت فجأة من النوم، ورأيت أبي وزوجتي جالسين بجانبي، تذكرت أني كنت في عملية، فوضعت يدي على صدري لتحسس القطعة المزروعة، لم أتقبلها في البداية بسبب شكلها الغريب والبارز على صدري.

الذي لفت انتباهي أخلاق الأطباء... طريقة وصفهم للعلاج... آثاره الجانبية، وتوقعاتهم، التفافهم حولي واهتمامهم بي، وكأني أحد أبنائهم! أشعروني، وكأن مرضي مرض إنفلونزا بسيط... فكم نحن في حاجة إلى هذه الأخلاق المهنية في مستشفياتنا، من يتخصص فيها قصده التخفيف عن معاناة الناس، وتفهم حالتهم النفسية، فالطب مهنة إنسانية لا مكانة اجتماعية ومنصب رفيع (وأشوفك من خشمي).

إن الخير كله في الرِّضا، فإن استطعت
أن ترضى وإلّا فاصبر.

عمر بن الخطاب ﷺ

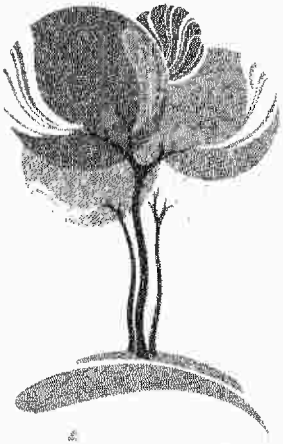

لنبدأ...

أعددت العدة الكاملة لهذا اليوم.. هيأت نفسي لكل الاحتمالات، تسلحت بكتاب ربي والدعاء... وضعت لنفسي معادلة: البلاء + الصبر والاحتساب = دخول الجنان! اعتبرته امتحاناً ومقياساً لإيماني بالله سبحانه وتعالى، طالما استمعت إلى المواعظ والعبر.. الدروس والمحاضرات... قصص صبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .. الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون من السلف الصالح رحمهم الله.. فكانت تعليماً نظرياً بالنسبة إلي... والآن جاء دور التطبيق العملي لقياس درجة التزامي وإيماني بالله سبحانه وتعالى...

التحدي الأول... جلسة الكيماوي الأولى

جاء يوم العلاج، والتساؤلات تحوم في رأسي؟! الكيماوي! طريقة الجرعات؟ شكله؟ لونه؟ طعمه؟ مؤلم؟ آثاره الجانبية؟ والكثير من التساؤلات... فقد مررنا على الزكام والإنفلونزا، صداع الرأس وتجبير كسر العظم... لكن مرض السرطان تجربة جديدة لن يعيشها إلا من ابتلي به.. أسأل الله أن يحفظنا وإياكم من كل سوء..

جاءت الممرضة مبتسمة ورحبت بنا، ومدّت يدها لمصافحتي! يا ألله، كم أتعبني هذا الموضوع المحرج، لكنه يستوجب علي بيانه وتوضيحه بأسلوب راقٍ لتتفهم الموضوع، ولأتفاداه مستقبلاً، وكانت ردّة فعلها طبيعية، وأجابتني: (لم أكن أعلم أنه ممنوع في دينكم ومجتمعكم) شكرتها على حسن تفهمها، ربما نصاب بالصدمة الثقافية والاجتماعية في البداية، لا نستطيع لومهم، فهم في بيئتهم ومجتمعهم، ولكن نلوم أنفسنا إذا تنازلنا عن مبادئنا وقيمنا، ونعلل خطأنا بالإحراج والمجاملة!

ثم ذهبت لإحضار الأدوية، شرحت لي طريقة أخذ الدواء، هيأتني نفسياً وجهزتني! كانت قمة في الأخلاق قلما تجدها في مستشفياتنا!

بدأت بال(سيلان) كما نسميه في بلداننا العربية مدة ساعة، وبعد الانتهاء منه فتحت مجرى الكيماوي ليدخل إلى عروقي البريئة، لله الحمد كان كال(سيلان) لا يؤلم... مرت نصف الساعة الأولى... شعرت بالقليل من الغثيان.. أتت الممرضة... أعطتني دواءً لتخفيف شعور الغثيان ومنوماً؛ كي لا أشعر بالمدة... بعدما انتهى الدواء.. أيقظتني زوجتي، وقالت لي: (قوم حمود خلصنا).. فزعت نوعاً ما، نظرت إليها... إلى أبي... نظرت إلى كيس الدواء.. وجدته فارغاً... فرحت... نظرت إلى عروقي، فوجدتها تجرعت طعم الدواء... نظرت إلى صدري، فإذا هو موصل بجهاز صغير به كيس صغير، سألت الممرضة؟ فأخبرتني بأنها جرعة كيماوي تستمر معي مدة ٤ أيام متواصلة! وقفت على قدمي... أحسست بالدوار.. شعرت بالغثيان.. حملت الجهاز على كتفي.. أعطتنا الممرضة بعض

الإرشادات للأعراض الجانبية التي ستحصل لي في الساعات المقبلة...! ثم توجهنا إلى المنزل.... كنت أترقب الآثار الجانبية؛ تساقط الشعر، فقدان الوزن، الشعور بالتعب والإرهاق، الغثيان المتواصل؛ آلام البطن ... إلخ.....

عدنا إلى الشقة بعد يوم شاق قضيناه في المستشفى استمر نحو ٨ ساعات متواصلة، حضرّت زوجتي العشاء الجميل، وكان شعوري بالغثيان يزداد حين أشتم رائحة الطبخ! جلسنا على مائدة الطعام، حاولت أن آكل قدر المستطاع، ثم استأذنتهم للنوم، وكان الوقت حينها مبكراً على النوم، لكن إحساسي بالخمول والتعب كان في ازدياد مستمر..

رميت نفسي على السرير كالجثة الهامدة، لم أعتد النوم في حياتي موصلاً بأجهزة، وضعت جهاز الكيماوي على الطاولة التي بجانبي، شعرت كأني مكبل، لم أستطع النوم على الشق الأيمن ولا الأيسر؛ لارتباط الجهاز بصدري! أغمضت عيني، وبدأت أقرأ أذكار النوم، مضت الدقيقة كالساعة والساعة كالعشر! أحسست بآلام في بطني، وشعرت بطعم الحديد في فمي،

حاولت التغاضي عن الآلام، ونمت مدة ثلاث ساعات، استيقظت الساعة الواحدة (منتصف الليل) على آلام البطن، كانت كالطعنات في بطني، وجدت زوجتي نائمة بجانبي منهكة، لم أرد إيقاظها؛ لأنها كانت متعبة ومنهكة بعد يومنا الشاق، ذهبت أجلكم الله إلى الخلاء، أصابني إسهال واستفراغ شديد وغريب من الساعة الواحدة إلى الساعة الثالثة! نعم، ثلاث ساعات متواصلة والسوائل تخرج من جسدي! لم أصدق ما كان يحدث لي، يبست قدماي، اختفى بطني، هزل جسمي! ذهبت إلى السرير لأنام، لم أستطع النوم؛ لأني كنت أتناوب على دخول الخلاء كل ربع ساعة!! إلى أن أُذّن للفجر، أديت الصلاة، ونمت مدة ٤ إلى ٥ ساعات. استيقظت في الصباح، غسلت وجهي، نظرت إلى المرآة، ففزعت، رأيت إنساناً آخر، شاحب الوجه، والعينان سوداوان، تغير لون وجهي! تقبّلت الوضع، وحاولت إخفاء مشاعري لوالدي وزوجتي؛ كي لا أحبطهما، وأتعب نفسيتيهما.

ثلاثة أيام مضت، وجهاز الكيماوي متصل بصدري يضخ في عروقي الدواء المرير... كنت أتابع

العداد على الشاشة الصغيرة في الجهاز التي كانت تبين التوقيت المتبقي لفصله. اتصلت بنا ممرضة المستشفى لتأخذ موعداً لزيارتي في الشقة؛ لتفصل الجهاز من على صدري، فراحة المريض غايتهم، هدفهم توصيل الخدمة الطبية بأيسر الطرق الممكنة؛ ليتجنب المريض طوابير الانتظار في المستشفى، وكوني أعالج من السرطان، فالأدوية المستخدمة تقلل من مناعة الجسم ضد الأمراض المعدية، فإرسال الممرضة إلى المنزل يجنبني دخول المستشفى والاختلاط بالمرضى الآخرين ابتعاداً عن العدوى.

قرعت الممرضة الجرس في اليوم اللاحق، وكلي أمل في التخلص من الجهاز الصغير الذي كان مرافقاً لي في حلي وترحالي! أحضرت معها شماعة لجهاز الـ(سيلان) وصندوقاً مليئاً بالأدوية! قامت زوجتي بتقديم الضيافة المناسبة لها، وكانت فرحة بما كنا نقدمه لها... قامت بسؤالي عن حالتي الصحية والأعراض الجانبية التي مرت علي في المدة الماضية، ودُهشت من وجهي الشاحب؛ كوني فقدت الكثير من السوائل طوال الأيام الأربعة الأولى..

قامت بعدها بتعقيم يديها، لبست القفازين، نزعت الجهاز المرير، كان شعوري كالسجين عندما يرى الحرية، فتحت صندوق الأدوية، وإذا بإبر السيلان والمعقمات والمعدات الطبية التي سأحتاج إليها خلال مدة علاجي المقبلة...

قالت لي: إني سأحتاج إلى استخدام أكياس السيلان في الأيام المقبلة لتعويض ما فقدته، وسأفقده مستقبلاً، وعلى زوجتي تعلم طريقة وضع السيلان ونزعه وتعقيم المكان، ثم بدأت في تعليم زوجتي مبادئ التمريض اللازمة، وزودتها ببعض الأوراق التي ستستخدمها لمراجعة الخطوات التي تعلمتها منها.

بعدما انتهت من الشرح، قالت لنا: إن مهمتها قد انتهت، وإن زوجتي ستقوم باللازم إن شاء الله، كانت ثقة زوجتي بنفسها لتأدية هذه المهمة متوسطة، فالمهمة جديدة، وحساسة! قمت بتشجيعها، ولا أخفي عليكم أنني كنت خائفاً من هذه الخطوة، توكلنا على الله، وقامت بوضع ورقة الخطوات بجانبها والمعدات الطبية، وعلقت كيس السيلان على

الشماعة المخصصة لها، لبست القفازات المطاطية، ووضعت المعقمات، ثم أوصلت السيلان إلى صدري، فالأمر لا يحتاج إلى الإبرة؛ كون الإبرة موصلة في صدري من اليوم الأول للعلاج، وهي مصممة للبقاء مدداً طويلة...

بعد مضي الأسبوع الأول وفي أثناء استحمامي رأيت على كفي شعراً كثيفاً! أثار الأمر دهشتي واستغرابي، وضعت يدي مرة أخرى على شعر لحيتي وأصابني الأمر نفسه! فعرفت حينها أن آثار تساقط الشعر التي كنت أترقبها قد حانت! حاولت أن أعلم نفسي عدم الاكتراث بهذه الأمور، فهذه بداية الامتحان الذي ابتلاني به الله سبحانه وتعالى، فالصبر والاحتساب مطلوبان في هذه الأوقات، لأنهما محفزان أساسيان للمريض، فلن يستطيع المريض تقبل الواقع والمضي في العلاج من دونهما...

أن تعيش من دون أمل هو أن تتوقف الحياة

فيودور دوستويفسكي

التحدي الثاني... جلسة الكيماوي الثانية

خمس وعشرون يوماً مضت من الجرعة الأولى، تذوقت فيها آلاماً غريبة أضفتها إلى خبرتي في قائمة الآلام وكيفية مواجهتها، المهم أني اجتزتها بجدارة بفضل من الله سبحانه، ثم بفضل ومساندة والدي وزوجتي ودعاء والدتي وأحبابي البعيدين عني مسافة والقريبين مني روحياً وقلبياً.... لم ينقطعوا عن مواصلتي بالهاتف والمكالمات المرئية عن طريق الإنترنت...

كان من المقرر إعادة الجرعات نفسها وتكرارها بالخطة نفسها وبالكمية نفسها... بالمختصر المفيد معاودة الشريط نفسه للمرة الثانية... الأمر الذي سيختلف هذه المرة يكون في زيادة تساقط شعري وزيادة فقداني لوزني، لا يهم لأنني لن أحصل على الغاية التي أتيت من أجلها من دون المرور بهذه العقبات المعروفة مسبقاً، فالتفكير في سعادتي وسعادة من حولي بشفائي تذهب مرارة الآلام (المؤقتة) وتزيدني إصراراً وعزيمة على مقارعة المرض..

أثرت جرعات الكيماوي هذه المرة في جهاز المناعة، فانخفض المعدل ما استوجب استخدام الكمام؛ تجنباً للفيروسات والأمراض المعدية التي عند الناس، وأثرت في شهيتي للأكل، كنت لا أطيق شمّ أي نوع من أنواع الأكل، حتى إنني كرهت شرب الماء؛ لأن طعمه صار كالحديد في فمي، ونقص وزني بشكل ملحوظ حتى وصل مجموع ما افتقدته إلى عشرين كيلوجراماً! التصق بطني بظهري، وأصبح وجهي شاحباً وهزل جسدي... وفي أثناء مراجعتي العيادة لإجراء فحص الدم والاطمئنان على معدل كريات الدم البيضاء والهرمونات و... إلخ.... لاحظ الأطباء شكل جسدي النحيف والهزيل، واقترحت الطبيبة وضع أنبوب تغذية بمعدتي لإيصال الطعام مباشرة الى المعدة؛ لأن العلاج الإشعاعي سيمنعني من تناول الطعام عن طريق الفم ما سيؤدي إلى فقداني للمزيد من الوزن! أعطتني مهلة؛ محاولة منها لتحفيزي على الأكل وزيادة الوزن، ولكن باءت محاولاتي بالفشل، علماً بأني كنت جاداً في محاولات زيادة وزني...

أسقطت الجلسة الثانية للكيماوي معظم شعر رأسي، فقمت بشحن بطارية آلة الحلاقة والكاميرا، وناديت زوجتي لتصورني، ولنوثق حلق شعر رأسي، فانقلب الأمر إلى الضحك؛ لأنني قمت باللعب في شكل شعري وإزالة ما تبقى منه إلى آخر شعرة من رأسي...

اقترب موعد العلاج الإشعاعي، ولم يرتفع وزني قدر أنملة، بل كان في نقصان مستمر، وكان الواقع مغايراً لرغبتي... وجهت الطبيبة حينها بإجراء العملية في أسرع وقت ممكن؛ كي لا أتأخر عن الخطة المقررة.

كان والدي خائفاً من إجراء هذه العملية؛ لأن الأمر كان مبهماً وجديداً بالنسبة إلينا! تخيلوا أنبوباً موصلاً إلى المعدة عن طريق فتحة في البطن! كنت أحاول تهدئته، وأشعره بقوة عزيمتي للتقليل من مخاوفه، وكان الشعور نفسه بائناً على وجه زوجتي، لكنها لم تتكلم بلسانها... مسكينان هذان الاثنان، كنت أشعر بأنهما يعانيان ما أعانيه من آلام لمشاركتهما لي في كل لحظة، وكانت زوجتي تشاهد

أموراً لم يشاهدها أبي، وكانت صبوراً ومشجعة، كانت صغيرة في سنها، لكنها عظيمة في مواقفها، لن أنسى وقفتها معي....

نعود لمحور القصة..... كان موعد رجوع أبي إلى البلاد وشيكاً، وكان متوتراً بأن يُحدد لي موعد العملية بعد موعد رحلته، وشاء الله أن يكون موعد إجراء العملية في يوم موعد رحلته! فتمّ الترتيب على أن تأتي والدة زوجتي في يوم موعد رجوعه، كنا أنا وزوجتي قادرين على تحمل المسؤولية، ولكن دعم الأهل ووجودهم كان ضرورياً في ذلك الوقت الحساس.

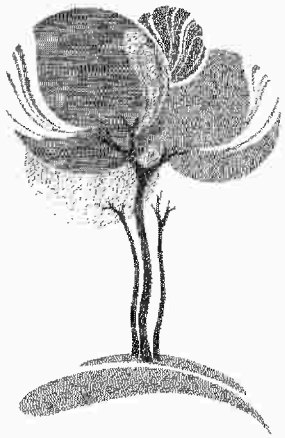

الناس معادن

كثيرة هي مواقفنا مع الأصدقاء والأحباب، منها ما يفرح القلب، ومنها ما لا يُمسح من ذاكرة التاريخ، فكم سعدت بتواصل أناس لم أتوقع مكانتي في قلوبهم وبتواصلهم اليومي وسؤالهم عني، وكم صُدمت في أناس كانوا ينادونني في يوم من الأيام بـ (أخوي) و(صديقي المفضل) ويخرجون معي كل أسبوع، ويلجؤون لي عند حاجتهم إلي، فهجروني في أصعب مراحل حياتي، صحيح أنني صُدمت في أمثال هؤلاء، لكنني حمدت ربي لسقوط أقنعتهم وصداقتهم المزيفة على مر السنين، وكشفها مرضي

في أشهر معدودة، ما جعلني أقرر وضع معايير للأخوة والصداقة إذا شفيت من المرض...

وصدق الإمام علي ﷺ حين قال:

ما أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ لَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

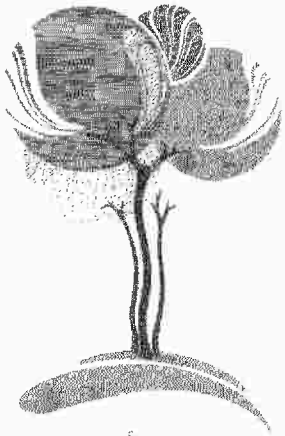

مقاومة التغذية بالأنبوب

حان موعد إجراء العملية، وكان أبي قد انتهى من حزم أمتعة سفره وضبط حجوزاته والسيارة التي ستنقله إلى المطار، ذهبنا إلى المستشفى، وجلسنا في قاعة الانتظار، نادت الممرضة: «حمود حمود... حان موعد إجراء العملية». كانوا ينادونني باسمي الأول والأخير، ويعود اسمي الأخير لجدي (حمود) الذي سُمّيت باسمه، كنت مميزاً عندهم، حتى إن الجميع يتذكرني بمجرد ذكر اسمي؛ لأن العرف لديهم ألا تتشابه الأسماء، أخذتنا إلى غرفة صغيرة، دخل علينا الطبيب الذي سيقوم بإجراء العملية ليقوم هو بدوره بشرح تفاصيل العملية

الجراحية، قام بشرح العملية من التخدير إلى كيفية توصيل الأنبوب إلى انتهائي من العملية! وهذا ما نفتقده في مستشفياتنا التي يكون فيها الطبيب ملكاً مترفعاً على المريض إلا من رحم الله، تدخل غرفة العمليات، وتخرج، ولاتعلم ماذا فعل وخرب، ثم تفاجأ بعد سنوات عدة بنسيان معدات العملية في موضع العملية!

وبعد الانتهاء من الشرح، طلبوا مني تغيير ملابسي ولبس الملابس المخصصة للعملية، وكان موعد سفر أبي قد حان، كان موقف الوداع مؤلماً ومبكياً، قام أبي بتوديعنا وتقبيلي والدعاء لي، ثم خرج مسرعاً إلى المطار.

ثم طلبوا مني الاستلقاء على السرير؛ لأخذي إلى غرفة العمليات، وكانت زوجتي العظيمة تمشي بجانبي إلى غرفة العمليات، دعت لي بأحسن الدعاء، وودعتها إلى غرفة العمليات.

أفقت على وجه زوجتي البشوش، وعندما أفقت كليّاً تذكرت أنه يجب أن يكون في بطني أنبوب،

فوضعت يدي على بطني بسرعة لأتحسسه، كان أمراً جديداً وغريباً بالنسبة إلي، فرفعت غطاء السرير، ورأيته، كان مضحكاً ومؤلماً، فعضلة بطني كانت مشدودة، وكانت تؤلمني بشدة، قال لي الطبيب: إن هذا عارض طبيعي، وسيقل الشعور بالألم تدريجيّاً، ثم وجّه إلينا بعض النصائح في كيفية استخدامه وفي كيفية الاستحمام وفي طريقة الأكل لليوم الأول.

خرجنا من المستشفى، وكانت زوجتي مترقبة بشغف وصول والدتها التي لم تَرَها منذ نحو شهرين ونصف الشهر، وصلنا إلى الشقة، وكنت أتضور جوعاً، وكانت إرشادات الطبيب بتناول الحساء فقط، وأن يكون سائلاً خالياً من أي خضراوات أو لحم... قامت زوجتي بسلق الدجاج والخضراوات؛ ليكون في حسائي طعم على الأقل... قرع جرس الباب... نظرت زوجتي من العدسة التي على الباب، وإذا صوتها يرفع: (وصلت أمي...وصلت أمي)، فتحت الباب، وحضنتها بقوة، كنت جالساً لا أستطيع الحركة بسبب آلام شد البطن، كنت أشاهدها، وأرى كيفية احتضانها لأمها، فعلمت حينها مقدار

تحملها التعب والألم الذي تقوم به من أجلي، وكان خال زوجتي العزيز مع والدة زوجتي، فدخل الفرح برؤيتهما وهما داخلان باب الشقة.

جلسنا في صالة المعيشة نتحدث معهم، ويسألوننا للاطمئنان على وضعنا، كانت لحظات جميلة، تذكرت حسائي، فطلبت من زوجتي الغالية أن تنتهي منه بسرعة؛ لأتناوله بسرعة، قامت زوجتي، وهي في نشوة الفرح والسرور، ولم تكن تنتبه حينها لتصرفاتها من حجم سعادتها، فأخذت الوعاء الذي يحتوي على الدجاج والخضراوات إلى مكان مغسلة اليد في المطبخ، ووضعت المشرحة (المشخال) من دون وعاء الحساء، فسكبت حسائي كاملاً في المغسلة من دون أن تشعر، وبقيت لي الخضراوات، قلت لها: لا، الشوربة! فضحكنا يومها كثيراً، وكنت أتألم من الشد العضلي ومن الأنبوب الذي في معدتي وأنا أضحك، فكان يضحكني هذا أكثر.

وبعد أن انتهينا من الأحاديث التي لا تنتهي، ذهب الجميع إلى نومه، ووضعت كريمات ما قبل

علاج الإشعاع الغنية بالفيتامينات التي وصفها لي طبيب الإشعاع على المنطقة التي ستتعرض للأشعة، ثم نمت مبكراً؛ لأنه كان ينتظرنا موعد اليوم الأول من الإشعاع.

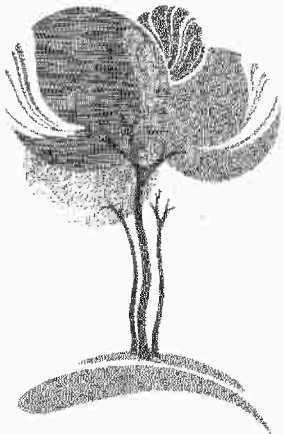

المرحلة الثانية من العلاج

إشعاع الأمل

الغرض من هذا العلاج القضاء على الغدد السرطانية عن طريق الأشعة عالية الطاقة، ما يؤدي إلى احتراق الجلد وتهيج وجفاف منطقة الفم والبلعوم وموت الغدة اللعابية التي تفرز لنا اللعاب، ما يؤدي ذلك إلى صعوبة في الأكل والبلع وانعدام اللعاب وذهاب حاسة التذوق أيضاً...

دخلنا على طبيبة متخصصة في (النطق) لتوجيهي وتهيئتي، وأعطتني سلسلة تمارين لمنطقة الفم والبلعوم؛ لتطبيقها قبل العلاج بالإشعاع وفي أثنائه، وستعرفون ما مررت به في الصفحات المقبلة...

استيقظنا مبكراً في اليوم اللاحق، تناولنا طعام الإفطار، ثم انطلقنا إلى المستشفى لجلسة الإشعاع الأولى، دخلنا غرفة الطبيب في قسم الإشعاع، وقام بشرح طريقة العلاج والأخطار التي من الممكن حصولها، قال: إنه توجد لدي خلايا سرطانية خلف العصب المتحكم في حركة اليد اليسرى ما قد يصيبها بضعف أو شلل لا سمح الله، بلعت ريقي! تغير لون وجهي، سألته: هل ما تقوله مؤكد؟ أجابني بأنها نسبة قليلة قد تحدث! ثم واصل شرح البقية، وبعد أن استمعنا إليه توجهنا إلى منطقة علاج الإشعاع، كان حالها مشابهاً لحال أي قسم من المستشفى، ويوجد هناك أمر واحد مغاير عن البقية، إنه (الجرس)، تم تثبيت هذا الجرس ليقرعه كل مريض بعد انتهائه من آخر جلسات الإشعاع، وكان يُعدّ تحفيزاً للمرضى ليثابروا على تخطي هذه المرحلة من العلاج بنجاح.

جلسنا على كراسي الانتظار، أنا زوجتي ووالدتها الحبيبة، كنت متوتراً قليلاً، فأمامي ٣٥ جلسة متواصلة تفصلها إجازات نهاية الأسبوع، وكان يغلب

على المرضى في قاعة الانتظار كبار السن، وكنت أنا الأصغر بينهم..

الجميل في الشعب الأمريكي أنه شعب ودود، فهو من يبدأ معك النقاش، سألنا أحد المرضى: من فيكم المريض؟ قلت: أنا! فتعجب! قلت له: لماذا؟ فقال: أصابك السرطان في مقتبل عمرك، مسكين أنت! كانت ردّة فعله طبيعية؛ لأن معظم مرضى السرطان من كبار السن، وقليلاً ما نجد السرطان يصيب فئة الشباب، مممممممم لم أكترث لكلماته، ربما يحبط البعض عند سماعها، لكنني أعلم يقيناً أن الله لا يبتلي إلا من يحب، وهذا يحبط محاولات الشيطان الكيدية التي كان يحاول في كل مرة أن يحبط همتي... مسكين أنت يا شيطان، فوساوسك تنجلي عند تذكر آيات الصبر في القرآن، تنجلي عند قراءة أحاديث النبي ﷺ عن أجر المريض والمبتلى، تنجلي عند تذكر الجنة ونعيمها... تنجلي عندما أتذكر الآية العظيمة: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أعوذ بالله منك يا شيطان.

حمود حمود، تفضل، ذهبت إلى الغرفة، قامت الممرضة بإعطائي بعض الإرشادات التي يجب عليّ

اتباعها طوال مدة العلاج بالإشعاع، ثم أرشدتني إلى غرف التبديل وأماكن الخزائن لحفظ الممتلكات الخاصة في أثناء الدخول للعلاج، ثم طلبت مني تغيير ملابسي ولبس اللباس المخصص، غيرت ملابسي، ودخلت إلى غرفة الإشعاع، ناديت زوجتي لتصوير هذه اللحظات، كنت أعيشها على أنها رحلة كغيرها من الرحلات، وأقوم بتوثيقها من أجل مشاهدة الصور عند عودتي إلى الديار، وهذا الشيء يعطي الأمل في الشفاء من المرض.

طلبت مني الاستلقاء على السرير، ثم قامت بتثبيت القناع المصمم على مقاس رأسي وصدري، يتم تثبيته؛ كي لا أحرك رأسي؛ لأن هذا العلاج شديد الحساسية، بحيث يتم تحديد زاوية الإشعاع لتصيب زاوية تم دراستها مسبقاً، مدة الجلسة ١٥ دقيقة فقط، يتغير موقع الجهاز بحسب كل نقطة تم تحديدها.

كنت أترقب الآثار الجانبية التي سأجنيها من هذا الإشعاع، نوع الألم والأحاسيس التي سأتجرعها، قاطعتني الممرضة، وقالت لي: سنبدأ بعد لحظات!

بدأ الإشعاع، وبدأ معه مشوار ستعايشونه معي في الصفحات المقبلة، كان حاله في البداية كحال أي جهاز أشعة، إلى أن أحسست بمذاق سيئ في لحظة من لحظات العلاج، ثم ذهب هذا الطعم إلى أن انتهيت من الجلسة.

توقف الجهاز، فتح باب الغرفة، وإذا بالممرضة تقول: انتهينا من الجلسة الأولى، ما رأيك؟ بماذا شعرت؟ قلت لها: كان طويلاً نوعاً ما، وأحسست بطعم سيئ! أجابتني بأنها بداية المشوار وعلي أن أكافح من أجل الشفاء: أخبرتني بأنه بإمكاني إحضار CD أغاني وموسيقا للجلسة المقبلة؛ لتشغيله خلال جلسات الإشعاع، ولتخفيف لحظات الانتظار، فقمت بإحضار CD سورة البقرة للشيخ سعود الشريم؛ لأن القرآن الكريم هو سلوة الروح وغذاؤها.. مر الأسبوع الأول بأعراض خفيفة وكان أبرزها الشعور بحرقان في داخل الفم وتغير لون الجلد المحيط بالرقبة.

كنت أراقب جرس الانتهاء بشكل يومي، وكنت أسمعه يُقرع من المرضى الذين أنهوا علاجهم

الإشعاعي... كلما أسمع قرع الجرس ينتابني شعور ممزوج بين أنني سأفرح يوماً ما بقرعه، وبين عدد الأيام المتبقية لانتهاء علاج الإشعاع! ولكني كنت أقول في نفسي: (إنها وساوس الشيطان، يريد أن يحبطني، ويحطمني وأن يقلل من معنوياتي وهمتي) وقد شهد الأسبوع الثاني تغيراً ملاحظاً في حالتي الصحية نحو الأسوأ، فقد عانيت جفافاً في الفم والحنجرة بجانب فقداني الشهية الناتج عن تقلصات عضلة البلعوم التي سببها حرق الإشعاع للمنطقة، طلب مني طبيب الإشعاع أن أشرب من ٣ إلى ٤ لترات ماء في اليوم للتخفيف من أعراض الجفاف ولتعويض نقص السوائل، وقامت الطبيبة بإرسال إخصائية في مجال التغذية لمتابعة صحة غذائي ووزني، ففقداني وزني يكلفني الكثير وأهمه توقف العلاج! كانت الإخصائية تحاول جاهدة إقناعي بشرب بعض المشروبات التي تحتوي على نسبة عالية من البروتينات والسعرات الحرارية؛ لإبقاء وزني في المعدل الطبيعي.

ومع قرب نهاية الأسبوع الثاني... جاءني ما كنت أتهرب منه من داخلي! تغير لون جلدي إلى

الاسمرار، وسلب الإشعاع حاسة التذوق لدي ما جعلني أكره مضغ الطعام! تصوروا الإحساس بأنك تضع في فمك ألذ أكلة كنت تحبها ولا تشعر بمذاقها! لا طعم للآيسكريم ولا للشوكولاتة ولا للعصائر ولا أي شيء آخر! بل انقلبت عندي حاسة التذوق، فكنت أتذوق المر حلواً والمالح مراً... وإلخ... سبحانك يا رب، التذوق نعمة لن تشعر بها إلا عند فقدانها!

تعرفنا خلال هذه المدة إلى امرأة كبيرة في السن في ردهة الانتظار، كانت مرافقة لأختها وزوجها المصاب بالسرطان، كانت تحب التعرف والسؤال عن مجتمعنا وعاداتنا وتقاليدنا، تسألنا عن ألذ الوجبات العربية، كم كانت لطيفة معنا! ثم قامت بإعطائنا بريدها الإلكتروني! تعجبت من أمرها، امرأة قارب عمرها من نهاية الستين تستخدم البريد الإلكتروني، وطلبت منا التواصل معها عن طريق البريد الإلكتروني لإرسال وصفات الطعام العربية، كم كانت لطيفة!..

وعندما وصلنا إلى الأسبوع الثالث، ازدادت حالتي سوءاً، بدأ الجلد المحترق يتساقط، وشعرت بضعف

الذاكرة وكثرة النسيان، وكنت أشعر بزوال نعمة لعاب الفم يوماً بعد يوم! نعم، إنها نعمة اللعاب التي تُسهل عليك مضغ الأكل وبلعه! فوصلت مرحلة جفاف الفم لدرجة أنني أرتشف الماء بين كل جملة أتكلم بها! إننا نتقلب في نعم الله الكثيرة ولم نتفكر فيها يوماً! فاقترحوا علي زيارة أحد الإخصائيين النفسيين إذا شعرت بالضيق النفسي، لكنني أصررت على عدم اللجوء إلى هذا الخيار؛ لتجنب التفكير في الأسوأ.

ومن العجب العجاب أن (لقمة) الآيسكريم كانت كالفلفل الحار في فمي! والفاكهة أيضاً! يا له من إشعاع! وقد كانت محاولات والدة زوجتي العزيزة وزوجتي الغالية في إغرائي بألذ أنواع الطعام تبوء بالفشل، وكنت أتشوق للطعام في أثناء طبخه، وحين أجلس على المائدة لا أملك سوى رؤيته!

كان موعد جلسة الكيماوي قد اقترب بحسب الخطة العلاجية المعدة مسبقاً، وكان معدل فقداني لوزني كبيراً، فكنت أفقد نحو كيلوجرام في اليوم! تصوروا ١ × ٧ = ٧ كيلوجرامات في الأسبوع، أي إنني سأفقد الرقم نفسه خلال الأسبوع الذي بعده! كان

الحل في أخذ سوائل غنية بالبروتينات عن طريق أنبوب المعدة؛ لتدارك الموضوع.

اتبعت تعليمات الطبيبة بحذافيرها على الرغم من قساوتها، وقد تهيأت نفسيّاً وجسديّاً للجلسة الثالثة من الجرعات.

اجتمعت مع طبيبتي المباشرة قبل موعد جلسة الكيماوي الثالثة بأيام قليلة، كانت تتابع حالتي الصحية أولاً بأول، ووجهت لها سؤالاً بأنني صرت كثير النسيان وذاكرتي ضعيفة؟ فأخبرتني بأنه عرض من أعراض الكيماوي والأدوية، ويسمى في عالمهم الطبي (chemo brain) ونصحتني بشراء (X BOX أو Playstation) لأن ألعاب الفيديو تساعد على تحريك الذاكرة.. كانت نصيحتها مضحكة بعض الشيء، وقمت بشراء (Playstation) من أحد المتاجر القريبة، كنت كالصبي الصغير الذي يفرح بمثل هذه الألعاب، وقد كان أثرها إيجابيّاً في نفسيتي، كنت أوصلها بالإنترنت، وأتنافس مع أصدقاء آخرين، كم كانت نصيحتها مفيدة! لأن الألعاب تطرد التفكير في المرض، وتذهب بك بعيداً

عن وساوس المرض وآلامه، حتى إنني كنت أتشوق إليها، وأترقب انتهاء زياراتي للمستشفى بفارغ الصبر؛ للعودة إلى الشقة للعب بها، فقد أصبح لدي متنفس جديد أُعبر فيه عما بداخلي من آلام....

التحدي الثالث... جلسة الكيماوي الثالثة

٢٥ يوماً حاولت فيها إعداد الجانب النفسي والجسدي لهذه الجلسة، استيقظنا صباح ذلك اليوم، وتوجهنا إلى المستشفى، وكان لدي موعد للإشعاع في اليوم نفسه، وكنت أتساءل كيف بإمكاني الجمع بين العلاجين في اليوم نفسه؟! سألت المرضة التي تعايننني، وأجابتني بإيجابية: (الأمر بسيط، ولا يحتاج إلى كل هذا التخوف، سنفصل الأنبوب عن صدرك، ثم نأخذك إلى جلسة الإشعاع، تنتهي منها، ثم تعود لمواصلة الكيماوي) قلت لها: أبهذه البساطة؟! تتكلمين، وكأن الموضوع جلسة ضيافة، بعد أن أنتهي من الشاي أشرب القهوة! لكنني كنت مجبراً كما ذكرت مسبقاً، فتوكلت على الله الذي لا يخيب من يوكل أمره إليه...

مرت الساعات ببطء وألم، كان جسدي موصلاً بالكيماوي والسيلان وسوائل البروتينات إلى معدتي! قابلت الآلام بعزيمة وإصرار على محاربة هذا الداء العضال، فالأجر والثواب على قدر الصبر، كان همي الأكبر ألا يراني أحد مهزوماً، وكنت أذكر نفسي دائماً بتقوى الله وأجر الصبر على البلاء... مرت اللحظات، أتتني الممرضة، وقالت لي: إنه حان موعد جلسة الإشعاع، ذهبنا إلى غرفة الإشعاع لأتجرع لسعات الإشعاع، ثم عدت إلى سريري لمواصلة جرعات الكيماوي...

انتهينا من جلسة الكيماوي، وعدنا إلى الشقة، وواجهت الأعراض المعتادة للكيماوي إلى جانب أعراض الإشعاع، ففي السابق كنت أتناول الحلويات، وأخرج للمطاعم القريبة للتخفيف من لوعة الأعراض الجانبية وآلامها، أما الآن وبعد أن ذهبت حاسة التذوق واللعاب ازداد الوضع سوءاً، وكنت دائماً ما أتألم بسبب الجهاز الذي يضخ الكيماوي إلى عروقي مدة أربعة أيام متواصلة! فكنت أحاول نسيانها بلعبي الـ(Playstation)، وكانت الأدوية

المهدئة تجبرني على النوم ليمر يومي في أسرع وقت ممكن ترقباً لما هو قادم...

كان يجب علي الأكل عن طريق الفم بوصفه ممارسة صحية لتمرين البلعوم، وكانت الأكلة الوحيدة التي باستطاعتي تحمل ألم مضغها وبلعها هي الزعتر بزيت الزيتون مع الخبز اللين من المطعم اللبناني الذي بجوارنا، لم يكن مطعماً رائعاً، لكنه أقرب إلى عروبة أوطاننا، ويجب علينا أحياناً تضور الألم من أجل منفعة بعيدة المدى.

مضت مدة إجازة والدة زوجتي التي أدخلت علينا البهجة والسرور، وحان موعد عودتها إلى الديار، كان يوماً محزناً بالنسبة إلينا وإلى زوجتي على وجه الخصوص، فوجود والدتها كان داعماً لها ومريحاً لنفسيتها، وكان ذهابها إلى المطار في موعد جلسة الإشعاع، فودعناها بحزن، وتوجهنا إلى المستشفى...

وفي موعد اليوم اللاحق، قام خال زوجتي محمد بزيارة سريعة لنا في ردهة انتظار قسم علاج الإشعاع،

وقد لاحظت تغير نظراته عندما شاهد مظهري المغاير لمنظر زيارته الأخيرة، سألني ما الذي حصل لك؟ لماذا تغير مظهرك بهذه السرعة؟! أجبته وباختصار: (إنه الإشعاع)! قمنا بعدها (بالدردشة) عن العلاج وأمور أخرى، ثم استأذن للذهاب، عندما نادت الممرضة على اسمي لما حانت جلسة الإشعاع، وعندما عدنا إلى الشقة، جاءنا الخبر الذي أعاد إلينا نبض قلوبنا، وهو خبر زيارة عائلتي (أمي وأخي وأختي وولدها) بعد أسبوعين من عودة والدة زوجتي، كان خبراً جميلاً، تمنينا لو تكملهم أختي الأخرى التي حال حملها دون سفرها.

كان خبر الزيارة داعماً كبيراً لمواصلة العلاج، فالشوق والحنين قد بلغا الحلقوم... كنت مشتاقاً إليهم شوق الحمامة لعشها.. مشتاقاً إلى أمي التي هي نور حياتي... مشتاقاً إلى حضنها الدافئ... إلى ابتسامتها... فهي مصدر إلهام وقوة في مواجهة المرض... الشعور الجميل يأتيك عندما ترى من تحب مجتمعاً وملتفاً حولك... يقطعون آلاف الأميال من أجل رؤيتك ومساندتك لقهر

هذا الداء العضال... تخللت هذه الأيام مفاجأة سريعة وخاطفة من عمي يوسف، فقد قام بزيارتي؛ للاطمئنان على صحتي في أثناء قدومه إلى واشنطن في زيارة عمل... فزارتي زيارة سريعة استغرقت نحو الساعة أدخلت في قلبنا الفرح والسرور، وكما يقول المثل الشعبي: (فيه ريحة الطيبين) وكانت زيارته حافزاً لي لمواصلة العلاج...

يقول الشاعر:

رَعَى اللهُ الأَحِبَّةَ حَيْثُ حَلُّوا
لَهُمْ فِي القَلْبِ مُرْتَحَلٌ وحِلُّ

خُيُولُ الشَّوْقِ مُسْرَجَةٌ إِلَيهِمْ
تَبَارَتْ حَيْثُمَا سَارُوا وهَلُّوا

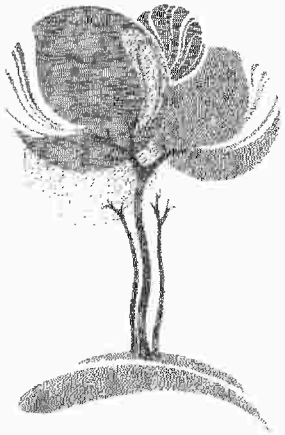

زيارة في موعدها

صحيح أنني كنت أترقب قدوم عائلتي، وأعدّ الثواني والدقائق والأيام لذلك، ولكن المؤسف في الأمر أن موعد الزيارة كان في أصعب مراحل العلاج وأحلكها، فشعر وجهي قد تساقط، وتغير لون بشرتي نحو السمرة الداكنة بسبب الإشعاع والكيماوي، وكان جلد رقبتي يتساقط بسبب حرق الإشعاع لمحيط منطقة الرقبة والرأس! فمنظري كان مثيراً للشفقة،لم أكن أرغب في أن تراني أمي بهذا المنظر، لكنني كنت في حاجة إلى رؤيتها بعد غربة استمرت شهوراً متواصلة محملة بالتعب

والآلام... كم تمنيت رؤية كل أحبابي حولي، كنت متخوفاً من أن تسوء حالتي، وأنتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم أودع أحبابي... ربما تكون وساوس شيطانية، لا تلوموني عليها، فالحال التي كنت عليها كانت غامضة المصير، ويرثى لها.

بزغ نور صباح اليوم المرتقب، وتلألأ صباح الحنين والشوق والهيام... الصباح الذي سأحتضن فيه أمي، وتشعرني بحنانها وتقبلني، وأرى أخي وأختي وابنها الحبيب... يا ألله، لم أصدق عندما اتصل بي أخي صباحاً يخبرني بوصولهم إلى مطار واشنطن التي تبعد عنا قرابة الساعة والربع بالسيارة، وكانوا قد وصلوا قبل الموعد المحدد بساعة! أيقظت زوجتي مسرعاً، وكنت أطير من الفرح والسرور... جاءني اتصال بعد ساعة بأنهم وصلوا عند مدخل المبنى، فهرعت مسرعاً نحو المدخل، وأنا أتخيل كيف ستكون هذه اللحظة... فتحت الباب ولم أصدق! تحققت أمنيتي، إنهم أمام عينيَّ! يا ألله، كم كانت هذه اللحظة رافعة لمعنوياتي، فهرعت إلى منبع الحنان وضممتها... أحسست بشعور الطفل

المفتقد حنان والديه، بعدما ذهب هذا الشعور مع أبي، ثم التفتّ إلى أختي وأخي فضممتهما بحرارة، وأحسست بنعمة الأخوة... فوجئوا بتحول جسدي، وما فعله العلاج من تغيرات فيه، فمن عرف هيئتي وشكلي السابق للعلاج لا يصدق أن مثل ذلك يحدث لي! أو أن العلاج قد يأتي بهذه التغيرات المخيفة، فقد كانت المرة الأخيرة التي اجتمعنا فيها بمنزل والدي، وكان شعر رأسي ولحيتي موجوداً حينها... ثم أخذتهم إلى الداخل، وتكرر المشهد بين أمي وأختي مع زوجتي الصامدة، وسالت الدموع، كان صباحاً جميلاً وسعيداً... فقدأدخلوا علينا البهجة والسرور... مضينا نتحدث، ونتحدث عن العلاج ومراحله، وعن الخطة العلاجية المقبلة والمواعيد، والخ... ثم ذهبوا ليرتاحوا من مشقة السفر وتعبه، لنأخذهم بعد ذلك في جولة للغداء، ونعرفهم إلى معالم مدينتنا.

خرجنا ذلك اليوم لتناول وجبة الغداء، وكنت أترقب ردّة فعلهم بعد مشاهدة عدم مقدرتي على تناول الطعام بسبب آثار الإشعاع على منطقة الفم

والبلعوم، وبعد جلوسنا على طاولة الطعام قدم لنا الجرسون قائمة الطعام، وكانت صدمتهم الأولى عندما رجع الجرسون لأخذ الطلبات! الكل اختار الطبق إلا أنا! سألوني لماذا لم تطلب؟ أجبتهم: «سأخبركم لاحقاً» لأنهم لن يستطيعوا التصور أن شرب الماء يسبب لي ألماً وحرقة في الفم والبلعوم. كنت حريصاً على أن أبوح لهم بالتغيرات وتطورات العلاج مرة واحدة، فقبول العلاج ومضاعفاته يحتاج إلى قدر من التكيف النفسي لم يتكوّن لديهم بعد! ولن يتناولوا غداءهم من الصدمة حرصاً على مشاعري... علماً بأنني لا أكترث نفسياً بهذه الآثار الجانبية؛ لأنني أعلم يقيناً أن الله مع الصابرين، وأنه: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[1]. كما قال النَّبِيُّ ﷺ...

وبعد أن وصل الطعام إلى الطاولة، اشترطت ألا يتأثروا بما سأخبرهم به، وألا يتركوا طعامهم، فوافقوا... فأخبرتهم بالسبب، وأنني آخذ غذائي

(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٥٧٢).

عن طريق الأنبوب المتصل مباشرة إلى معدتي، فانتابهم شعور بالذنب؛ لأنه بمقدورهم الأكل طبيعيّاً، وأنني لا أستطيع...ثم قمنا بالتنزه حول البحر المحيط بنا، وكنت أهيئهم، وأخبرهم عن حالتي الصحية التي وصلت إليها، وما هو قادم...لم يكن بمقدورهم تصور حجم الآثار الجانبية للعلاج إلا بعد أن يعايشوها معي...

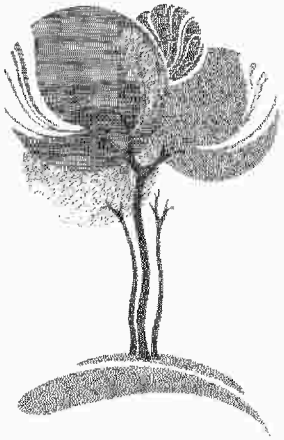

التحدي الرابع..
منتصف الطريق

جلسات الإشعاع وجلسة الكيماوي الرابعة

انتهزت فرصة وجود عائلتي لتعريفهم وطمأنتهم على علاجي، أخذتهم معي لبعض جلسات علاج الإشعاع، ونجحت في تهدئتهم قليلاً، (لأن الذي يرى غير الذي يسمع)، فاعتادوا على الأمر، واطمأنت قلوبهم... ذكرت مسبقاً أنهم قدموا في الوقت العصيب، فلم يكن بمقدوري الخروج للتنزه معهم لضعف جسدي، كان معدل وزني قليلاً.. وجسدي نحيل.. وآلام منطقة الرأس والرقبة في ازدياد... وجلد رقبتي يتساقط بسبب الإشعاع، لدرجة أنني أراه على وسادتي عند استيقاظي في الصباح...

كنت أشعر بالذنب؛ لعدم مقدرتي على الخروج معهم وإدخال الفرح والسرور عليهم بعد أن قطعوا هذه المسافات من أجلي...ولكني كنت أحاول جاهداً إظهار قوتي لهم في مواجهة المرض؛ لئلا تقل همتهم.

تخللت زيارتهم لي كثيراً من المواقف السعيدة، لم ولن أنساها، كانت مدة سفرهم المقررة أسبوعين فقط بسبب ارتباط إخوتي بأعمالهم، مر الأسبوعان، وكأنهما يومان، لم أشبع من رؤيتهم ووالدتي على وجه الخصوص، فطلبت منها البقاء مدة مفتوحة؛ لأسباب معروفة ولأسباب مخفية في ذلك الوقت، أكشف لكم واحدة...

(كنت أشعر بدنو الأجل بسبب الآلام الشديدة والتعب الجسدي، وبقاء أمي بجانب زوجتي يسهم في طرد هذا الشعور ونسيانه).

وافقت والدتي على البقاء بعد إلحاح مني ومن زوجتي، وكان الشعور بتوديع إخوتي حزيناً، فقد أدخلوا علينا السعادة بعد أن أتهكنا الروتين العلاجي.

جاءني اتصال خلال هذه المدة من إنسان عزيز، هو العم إبراهيم الدوسري، فاجأني بخبر وجوده

في بالتيمور، وأنه يرغب في زيارتي! واعدته في مطعم ذي جيز كيك فاكتوري القريب من موقع الشقة، وكنت حينها لا أستطيع بلع الطعام وتذوقه، خرجت إليه وأنا سعيد؛ لأنه تذكرني وحرص على رؤيتي، جلسنا معاً قرابة ساعتين من الدردشة الغنية بالمعلومات المفيدة والشائقة، وكان حريصاً على نصحي وإرشادي لتجاوز مرضي،لم يتوقع أن يشاهدني بالصورة التي كنت عليها بسبب تغير ملامح شكلي، وفوجئ أنه لم يكن بمقدوري تناول الطعام. أهداني في نهاية اللقاء (مسباح) أو كما يسميه الآخرون (سبحة) جميلة ورائعة، وقال لي: إنها ذكرى زيارته لي ذلك اليوم...

تمر الأيام، وتزداد معها الأعراض الجانبية، كانت الطبيبة قد وصفت لي كثيراً من الأدوية لعلاج الآثار الجانبية من العلاج، وكان أبرزها دواء مسكن الألم، وكانت تزيد من كمية الجرعات مع ازدياد الآلام إلى أن وصلت إلى مرحلة لم ينفع معها هذا الدواء! كان من المحتم علي معايشة الآلام لمواصلة المشوار العلاجي.

كانت لدي زيارة مقررة إلى الطبيبة للمراجعة قبل أخذ جرعة الجلسة الرابعة للكيماوي، وكنت أحس في هذه الأثناء برنين شديد في أذني لم أعتد عليه، فقررت الطبيبة تغيير نوع الدواء الكيماوي بعد أن أخبرتها بهذا العارض، وقد أخبرتنا بأن الشعور برنين الأذن من الأعراض الجانبية لنوع الدواء الكيماوي الذي كانت تعطيني إياه، وهناك احتمال بسيط بأن يصيبني الصمم إذا استمررت عليه! سبحان الله، كانت هذه الأمور تخيفني بعض الشيء بسبب عدم تصور المجهول، وكأنهم يقولون: «إذا أردت أن تشفى من السرطان، وتستمر في الحياة، عليك أن تتخلى عن بعض الأشياء الأساسية لديك».

خرجنا من عند الطبيبة بتوصيات مهمة بأخذ بعض الإبر المنشطة للمناعة؛ لأن معدل مناعتي في انخفاض شديد ما يهدد استمرارية علاجي! إلى جانب تغيير نوعية جرعة الكيماوي وتخفيفها... كانت الخطوات الاستباقية لجلسة الكيماوي هي نفسها، اعتدت عليها، وأصبحت جزءاً من حياتي...

حان موعد الجلسة، أخذت زوجتي وأمي، كان الأمر مكرراً علينا وجديداً على أمي، كانت خائفة

وحزينة بعض الشيء؛ لأن معظم الناس لا تعرف شكل الكيماوي! دخلنا إلى الغرفة المخصصة لتلقي العلاج، أصاب أمي شيء من الهلع! لأنها وجدت المكان يساعد على تحفيز المرضى وذويهم، فأمام كل مريض شاشة تلفاز خاصة به، وإنترنت مجاني! والسرير ملاصق للنافذة المطلة على الأشجار الخضراء الجميلة، فماذا نريد أكثر من ذلك؟

أخذت جرعات الكيماوي بالصورة التي اعتدت عليها، مضت الساعات طويلة يصحبها شعور الغثيان والتعب، الجميل في الأمر أنني كنت أستمع إلى دعوات أمي راجية من الله أن يرفع عني هذا البلاء... كانت تجربة جديدة لأمي، فهي لم تعتد رؤيتي في هذا الموقف... وكانت زوجتي صامدة تعينني، وتسهم في رفع همتي وإصراري على قهر المرض...

عدنا إلى الشقة منهكين، وكانت الآثار الجانبية قد بدأت، وكان علاجها النوم مدة طويلة لنسيانها بحسب خبرتي التي اكتسبتها من الجلسات الماضية... وكانت الصدمات تتوالى على والدتي عند مشاهدتها لي في قمة تعبي، وعدم مقدرتي مشاركتهم الجلوس

في صالة المعيشة! مممم لم يكن بوسعنا عمل شيء غير دعاء الله عز وجل لتخفيف هذه الأعراض....

أعقبت هذه الآثار الجانبية أيام قضيتها في جلسات العلاج الإشعاعي تخللتها أيام كادت تكون منحنى خطراً لحالتي الصحية! فمعدل المناعة مازال ينحدر، ما يعرضني لانتقال أي عدوى، أصابني سعال قوي استمر معي أياماً عدة، وفي تلك الليلة العصيبة التي لم تدع لي مجالاً للنوم، كان دم كثير يصاحب سعالي، ولم يكن بوسعي النوم، كنت أستيقظ كل عشر دقائق، ولكي أوضح لكم مدى سوء حالتي، كانت لدي سلال مهملات موزعة في جميع أنحاء الشقة بسبب أنني كنت كثير التقيؤ نتيجةً للكيماوي وهيجان المنطقة الصدرية بسبب الإشعاع، فكان التقيؤ يحدث في أي لحظة ومن دون أي مؤشر! وكنت أضع اثنتين بجانب السرير لتدارك الموقف في منتصف الليل، ففي تلك الليلة كان الدم ملحوظاً داخل سلة المهملات؛ لأنني كنت أخرجه على المناديل الورقية، ولاحظت زوجتي ارتفاعاً في درجة الحرارة عند قيامها لصلاة الفجر التي يحين موعدها في

ذلك الوقت نحو الساعة الخامسة والنصف صباحاً، ويُعدّ ارتفاع درجة الحرارة لمريض السرطان مؤشراً خطراً بحسب كلام الطبيبة، اتصلنا على قسم الطوارئ الخاص بمرضى السرطان الذي أتمنى لو يتم تفعيل هذا الأمر في بلادنا، قاموا بإعطائنا بعض الإرشادات والنصائح حتى يحين موعد فتح العيادة، اتصلنا بالأخ رضا بعد شروق الشمس (المعني بملفي الطبي من دائرة مرضى الخارج في المستشفى) وهو صاحب مواقف أخوية مشرفة، إذ إنه يقوم بأشياء أكثر من مهامه الوظيفية، ولن ننسى له هذه الوقفات... اتفقنا أنه سيقابلنا عند كراسي انتظار العيادة لترتيب اللازم...

استيقظنا جميعاً، وذهبنا إلى المستشفى، وكنت لا أستطيع السير على قدمي، أحضروا لي الكرسي المتحرك، لم أود الجلوس على الكرسي المتحرك؛ كي لا أشعر بالانهزام للمرض، لكنني أجبرت على الجلوس عليه بأوامر المرضات! قام الأخ رضا بالتواصل مع طبيبتي، فأشارت إليه بإحضاري إلى عيادتها التي هي بالقرب منا، وعندما اقتربنا من

باب غرفتها خرجت مصادفةً، فرأتني منهكاً هزيلاً، لا أستطيع حتى التحدث إليها، قالت لي بنبرة حزينة: أنا متأسفة جداً جداً، لم أود رؤيتك في هذه الحالة المريرة، ولم يكن بوسعنا تفادي هذه الآثار الجانبية، فقررت تنويمي في جناح المرضى لأخذ بعض الأشعة على صدري وعينات من الدم؛ لمعرفة أسباب سعالي المصحوب بالدم!

ذهبنا إلى الجناح، وكانت ممرضات الجناح كخلية النحل، فما إن وصلت إلا وكانوا قد تلقوا التعليمات من الطبيبة، فسحبوا عينات الدم، ثم أخذوني لعمل الأشعة المقطعية لمنطقة الصدر...

أتتني الطبيبة بعد أن وصلتها نتائج الأشعة المقطعية، وأخبرتني بأنني قد أُصبت بالتهاب مشابه لمرض النمونيا بسبب تعرضي لفيروس ربما قد لقطته من الجو لضعف جهاز المناعة عندي، وقالت لي أيضاً: إنهم توقعوا تنويمي في المستشفى خلال مدة قصيرة من العلاج، لكنني كنت قوياً في مواجهة المرض، فحمدت ربي الذي ألهمني هذه القوة التي كانت تدفعني نحو الصبر، وكنت دائماً ما أردد الآية

التي قرأتها بعد تلقي خبر مرضي: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ عند شعوري بالضيق والتعب لتعطيني المزيد من القوة والعزيمة... أخبرتنا الطبيبة بأنها قررت إعطائي مضاداً وريدياً مدة ثلاثة أيام متواصلة، إلى جانب بعض الفحوص للتأكد من حالتي الصحية... المؤسف في الأمر أن الغرفة لم يكن بها إلا سرير واحد للمريض وكرسيان! فكانت تضحية والدتي وزوجتي بالنوم جلوساً على الكرسي مدة ثلاثة أيام متواصلة حرصاً على عدم تركي وحيداً في الغرفة، صبرتا من أجلي... عناية تُشترى بالألماس، اللهم، ارزقهما رضاك والفردوس يا ربّ...

جاءنا الفريق الطبي في اليوم المقبل مع نتائج الأشعة المقطعية التي تبين انتشار الالتهاب في رئتي! أخبروني بأنهم يريدون عمل منظار داخل رئتي لأخذ بعض العينات، تخوفت من ذلك، وكانت طبيبتي متخوفة أيضاً بسبب ضعف جهاز المناعة عندي، إذ إنه قد يؤثر فيها أيضاً! استخرنا الله

عز وجل، ثم قرروا تأجيل قرار المنظار بعد الانتهاء من المضاد الوريدي.

كان اليوم يمرّ علينا بطيئاً، وكانت زوجتي ووالدتي في حاجة للعودة إلى الشقة لأخذ ملابسي؛ لأنني أدخلت إلى جناح المرضى من دون علم مسبق، وكان خال زوجتي محمد على تواصل مستمر معنا، فجاءنا من مقر عمله للوقوف معنا في هذه الأزمة الصغيرة، لن ننسى مواقفه المشرفة معنا، ثم أخذهم إلى الشقة وأعادهم، وجلس معنا إلى موعد انتهاء الزيارة ليلاً..

جاءنا الخبر السارّ في اليوم المقبل بعد أن أخذوا أشعة مقطعية جديدة وعينات من الدم، استجبت للمضاد الوريدي والالتهاب في زوال بإذن الله، قرروا إلغاء فكرة المنظار ومواصلة بعض الأدوية، وكان الأهم في الموضوع قرار طبيبتي بوقف جلسات الكيماوي، وأنني لن أتجرعها بعد ذلك اليوم، ليس لأنني قد انتهيت من خطة علاجي المقررة، بل بسبب تردي حالتي الصحية وعدم استطاعة جسدي تجرع المزيد من تلك المواد الكيماوية...

يالسعدي وفرحتي! فقد كان في انتظاري جلسة إشعاع واحدة لأنتهي من حصص جلسات علاج الإشعاع الـ ٣٥، الأجمل أنني سأنتهي من العلاج خلال ساعات... وقالت: إنني سأخرج من المستشفى نهار اليوم المقبل.

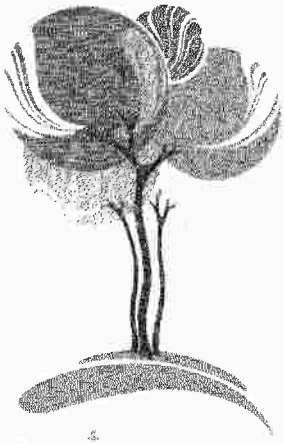

جرس الأمل

مضت ساعات ما قبل جلسة الإشعاع الأخيرة ببطء، مترقباً اللحظة التي سأعلن فيها الانتهاء من هذا العلاج، وأقرع ذلك الجرس بعد شهرين من الانتظار، وكانت زوجتي قد اشترت بعض الحلوى لتوزيعها على الموجودين لحظة الانتهاء، حتى جاءت تلك اللحظة التي ترقبتها منذ اليوم الأول لجلسات الإشعاع، أخبرني الأخ رضا مسبقاً بأنه لن يتمكن من حضور هذا اليوم بسبب إجرائه عملية جراحية في أنفه، كنت خائفاً نوعاً ما، ولم أعلم سبب ذلك الخوف، تم استدعاء الموظف لأخذي إلى جلستي الأخيرة

من غرفتي في المستشفى، خرجنا جميعاً إلى الموعد والابتسامة لا تفارق الشفاه، وعندما وصلنا إلى قسم علاج الإشعاع نظرت إلى الجرس... وقلت في نفسي: «كلها ١٥ دقيقة، وأضربك ضرباً يشفي الغليل الذي في صدري عليك» ثم انتظرنا في منطقة الانتظار، وكنت أخبر من حولي بأنها جلستي الأخيرة، كانت أقدامنا تهتز بسبب الانتظار، جاءتنا الممرضة قائلة: «حمود حمود، حان موعد جلستك الأخيرة» يا الله... كم كنت أنتظر سماع هذه الجملة، تحملت الآلام من أجل الوصول إلى هذا اليوم، دخلت إلى الغرفة وأنا أضحك، وعندما بدأ الجهاز يعمل، كنت أحاول استرجاع ذكريات الجلسة الأولى والأعراض الجانبية التي سببها لي، وكنت أتذكر كل المواقف التي مرت بي، لا أخفي عليكم أن الوقت مر، وكأنه سنة!

توقف الجهاز... فتح باب الغرفة... دخلت الممرضة قائلة: «حمود حمود، مبروك لقد انتهيت من جلسات الإشعاع» فحمدت الله ﷻ أن بلغني هذا اليوم، ولما خرجت من الغرفة وجدتهم يلتقطون لي الصور والجميع يهنئني، ثم توجهنا إلى الجرس وأنا أتألم حينها، ناظرته، وقلت: (حانت ساعة الصفر).

فقرعته ثلاث مرات، وشعرت بنشوة الانتصار، أرى زوجتي سعيدة، وأمي فرحة، وفاجأني الأخ رضا بحضوره والتقاطه صوراً لي، وعند عودتي إلى الشقة، انهالت علينا الاتصالات بالتهاني والتبريكات من أفراد عائلتنا... فحمدت ربي بأنني أملك عائلة تحبني وأصدقاء وأحباباً يقفون معي في شدتي... ثم عدنا إلى غرفتي في الجناح؛ لمواصلة أخذ مضادات الالتهاب المتبقية..

وفي اليوم المقبل، تم إجراء فحص أخير للتأكد من الحالة الصحية، وقد تبين حينها أنني شفيت من الالتهاب بفضل الله عز وجل، ثم قاموا بإجراءات الترخيص من المستشفى، وعدنا إلى الشقة فرحين مسرورين بعد أن شفاني الله من هذا الالتهاب..

وفي موعدي المقبل مع طبيبتي، قالت لي: إنني قد انتهيت من العلاج، وإنه علي أن أمكث ثلاثة أشهر إلى أن يحين موعد فحص الـ (PET scan) الذي سيكشف لنا شفائي أم فشل علاجي...

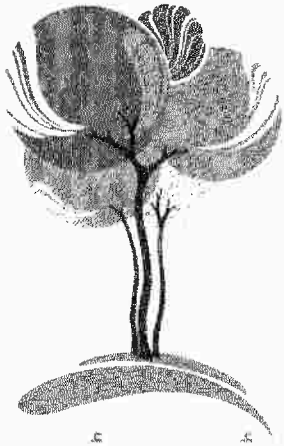

وداع أمي الأخير

كان موعد عودة أمي يلي انتهائي من علاج الإشعاع بأيام معدودة، وكنت حينها في تعب وإرهاق شديدين بسبب آثار العلاج، لم أتمنَّ أن يحين ذلك اليوم، فلحظة الفراق من أصعب اللحظات، وكانت أمي قلقة على أختي التي كانت حاملاً بطفلها الأول، ولم أرد أن أكون أنانيّاً...

خرجت مع زوجتي لتوصيل أمي إلى المطار، وعندما وصلنا، وذهبنا لإنهاء الإجراءات، أوقفتنا موظفة شركة الطيران، وقالت: إن اسم أمي في التذكرة لا يطابق اسمها في جواز سفرها! على

الرغم من أن الاسم كان مطابقاً له تماماً، وكان الحل بتأجيل رحلتها لليوم المقبل بسبب التأخير الذي قامت به موظفة شركة الطيران!

كان خبراً سعيداً بالنسبة إلي؛ لأنها ستجلس يوماً آخر معنا، فمكثنا تلك الليلة في فندق قريب من المطار لبعد المنطقة التي نسكن فيها عن المطار، ثم استيقظنا صباحاً، وقمنا بتوصيلها إلى المطار وتوديعها، وكنت في قرارة نفسي يراودني الشك أنه ربما يكون الوداع الأخير.

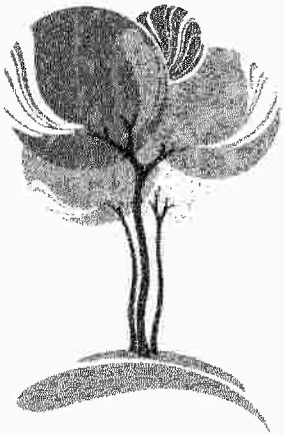

شهر عسل

كانت هي المدة الوحيدة التي قضيناها أنا وزوجتي بمفردنا، كانت جميلة وهادئة، نخرج لنتنزه قريباً من الشقة بسبب ضعف جهاز المناعة لدي وهزال جسدي، كان خال زوجتي محمد يكثر من زياراته لنا، وكانت زياراته تدخل علينا السرور؛ لأنه يغير من الروتين الذي نعايشه في حياتنا اليومية، تفرح زوجتي بزيارته؛ لأنها تحب إعداد وطبخ وجبة العشاء له، وكان يشجعها على المواصلة..

قمنا خلال هذا الشهر باستئذان الطبيبة للذهاب إلى واشنطن العاصمة التي تبعد عنا قرابة

٤٥ دقيقة بالقطار، فوافقت وصرحت لي بالذهاب، واشترطت عدم إزالة الكمام بسبب ضعف المناعة ومحاولة الابتعاد عن مخالطة الناس، أخذنا التوجيهات على محمل الجد.

توجهنا في صباح اليوم المقبل متحمسين إلى محطة قطار بالتيمور الرئيسة التي تسمى (Penn station) واشترينا تذاكر الذهاب إلى العاصمة واشنطن، قمنا في أثناء انتظار الرحلة بالبحث عن المناطق السياحية بالعاصمة وتدوينها لخطة ذلك اليوم، دخلنا إلى القطار الكبير والواسع، كانت تجربتنا الأولى في ركوب القطار، فكان بالنسبة إلينا كشهر عسل آخر، ثم انطلق القطار متوجهاً إلى العاصمة حاملاً على مقطورته زوجين عانا الكثير في بداية حياتهما الزوجية.

وما إن وصل القطار، خرجنا إلى محطة العاصمة واشنطن، وجدناها ضخمة وقد بنيت على الطراز القديم الرائع، ثم توجهنا إلى سيارة الأجرة لتقلنا إلى (الناشونال مول) وهي منطقة مفتوحة تحيط بها كثير من المباني التاريخية والمتاحف والنصب

التذكارية كانت كافية لزيارة ذلك اليوم، زرنا متحف الفضاء والطيران والمباني المجاورة للمتحف، ولم أستطع مواصلة الرحلة بسبب هزال جسدي وضعف المناعة، فذهبنا لتناول وجبة الغداء في مطعم إيراني مشهور بمنطقة تايسون كورنر اسمه (شمشيري) يبيع المشويات الإيرانية اللذيذة، طلبنا وجبتي المفضلة (جلو كباب) وكانت رائحتها رهيبة وطعمها لذيذ كما أخبرتني زوجتي؛ لأنه لم يكن باستطاعتي التذوق ولا الأكل من فمي، حاولت أن أضع الطعام في فمي وتحسسه لمجرد الإحساس..

ثم عدنا بعد غروب الشمس إلى مدينتنا بالتيمور.

قضينا رحلة جميلة وسعيدة احتجنا إليها للترفيه وتغيير نمط حياتنا اليومي ولإحياء روح الأمل نحو العودة إلى الحياة الطبيعية إن شاء الله...

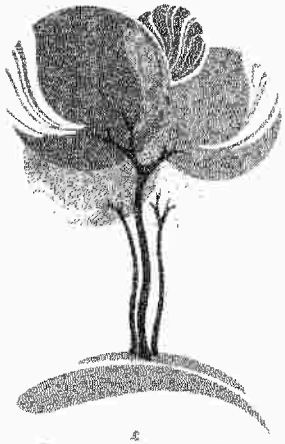

تواصل الأحباب

وصلنا اتصال من خال زوجتي الآخر إبراهيم، بأنه سيأتي لأمريكا في زيارة عمل قصيرة، ففرحنا بهذا الخبر، وطلبت منه أن يسكن معنا، فوافق على الرغم من بعد المسافة عن مكان مهمة عمله، وأعدّت له زوجتي وجبة العشاء في يوم وصوله، وكان دخوله علينا في الشقة نقطة تغيير في حياتنا اليومية؛ لأنه كان يستطيع قيادة السيارة، فكان يأخذنا بعد الانتهاء من مهام عمله اليومية إلى المجمعات والمطاعم، ويأخذنا في جولات جديدة حول الولاية لرؤية معالمها..

وبعد عودة خال زوجتي إبراهيم، فوجئنا بخبر رائع، وهو زيارة والدي زوجتي لنا، فقررت القيام باستئجار سيارة والقيادة للمرة الأولى بعد توقف العلاج، وكانت تجربتي الأولى مفاجأة لهما باستقبالهما في المطار، وذهبنا إلى المطار واستقبلناهما فرحين، ولم أشاهد زوجتي فرحة مثل ذلك اليوم؛ لأنها التقت والدها بعد مضي سبعة أشهر متواصلة! وفي أثناء عودتنا بالسيارة إلى منطقة السكن، قام جهاز الملاحة (GPS) بإعطائي قراءة خاطئة، وأضعنا الطريق، ثم أعاد حساب المسافة، فاستغرقت رحلة العودة قرابة ساعتين بعد أن كان من المفترض أن تأخذ ساعة! كان الموقف محرجاً... إلا أنها كانت فرصة أخرى لاستكشاف مناطق جديدة لم نَرَها من قبل، فقد مررنا على ريف أخضر واسع، شاهدنا الخيول والأبقار بين العشب الأخضر، فرُبَّ ضارة نافعة.

قضينا هذه الأيام بأسلوب حياة مغاير عن السابق، أدخلا إلى شقتنا روحها وبهجتها، حاولا أن يفرحانا ويبعثا فينا السعادة، كنا نتناول وجباتنا مع والدي زوجتي، ونخرج إلى المجمعات والأماكن

السياحية بمدينة بالتيمور، كان لزيارتهما من التأثير الإيجابي فينا، بحيث أسهمت في تحفيزنا وكسر الروتين اليومي لحياتنا.

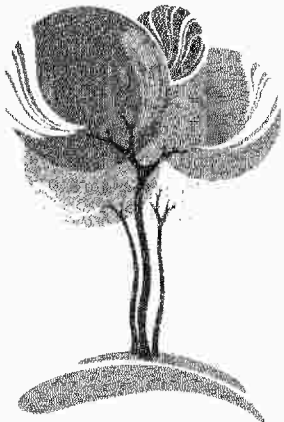

أمل على الرغم من الألم

وجب علينا في هذه الأثناء عمل فحوص دورية للدم؛ لقلق الأطباء على تدني مستوى معدل المناعة المستمر! فقامت طبيبتي بتحويلي إلى طبيب مختص بأمراض الدم الوراثية، وكنت أظنّ حينها أن الأمر متعلق بمعدل المناعة فقط، وبعد أن دخلت على الطبيب المختص قام بسؤالي عن حالتي الصحية وقراءة تحاليل الدم التي كنت قد عملتها مسبقاً ومقارنتها، ثم التفت إلينا، وقال: يجب علينا أن نأخذ الموضوع على محمل الجد، فتدني معدل المناعة قد يعطي احتمالاً بأن السرطان قد تحول

إلى الدم بما يسمى (اللوكيميا)! وهناك احتمالات أخرى، والذي سيحسم الموضوع عمل فحص خزعة العظم (bone marrow) المؤلم! لم أستوعب كلامه؛ لأنني استمعت إلى أمرين مؤلمين: فالأول قد يجرّني إلى منحنى خطير في حالتي الصحية، والآخر كانت تجربته مؤلمة جداً في أثناء فحوص ما قبل العلاج كما ذكرت في البداية، ثم أعطانا موعد الفحص وخرجنا من الغرفة والخوف يملأ قلبينا من نتائج الفحص.

عدنا إلى المنزل في حيرة وصمت، كنا نفكر ما إن كانت النتيجة انتقال المرض إلى الدم! ماذا سيكون حالنا! حال والدينا؟ مستقبلنا؟ اختلطت بنا الأمور، وتلخبطت حساباتنا، اتفقنا على ألا نخبر أحداً بالموضوع حتى تظهر النتيجة. كنا قلقين أشد القلق، نحاول كتم وإخفاء تعابير وجهينا عن والدي زوجتي، ولم نستطع النوم ليلة الفحص، وأكثرنا من دعاء الله ﷻ أن يريح قلبينا بالنتائج التي تسعدنا...

ذهبنا في صباح ذلك اليوم إلى المستشفى للفحص بين ترقب ألم الفحص والنتيجة، كان الفحص مؤلماً

كالمرة الأولى، ولكن يجب عليك أحياناً أن تتحمل الألم من أجل تحقيق الأفضل وتجاوز الأسوأ.

يلي موعد طبيب أمراض الدم الوراثية الفحص بيوم، دخلنا عليه وضربات القلب تزداد سرعة، قال لنا: إن النتيجة أظهرت أن ضعف جهاز المناعة كان نتيجة للعلاج بالكيماوي، وليس له علاقة بسرطان الدم، فحمدنا الله ﷻ على النتيجة الطيبة التي أسعدتنا، وأعادت إلينا الأمل في الشفاء، ثم عدنا إلى الشقة، وأخبرنا والدي زوجتي بما حصل، لم يستوعبا ما حصل، وكيف أنه باستطاعتنا كتمان ما حصل، الحمد لله الذي لا يخيب ظن عباده....

ثم انتهزنا فرصة الخبر السعيد، وقررنا السفر مع أسرة خال زوجتي التي صادف قدومها إلى أمريكا إلى ولاية نيويورك المشهورة التي تبعد عنا قرابة ثلاث ساعات بالسيارة...

كانت هذه الرحلة من أجمل الرحلات في حياتي، قمنا بزيارة أبرز المعالم في نيويورك، أدخلت لنا هذه الرحلة السعادة بعد أن قضينا مدة علاج مليئة

بالتعب والمشقة، ثم عدنا إلى ولاية ميرلاند فرحين مسرورين...

انقضت مدة زيارة والدي زوجتي بسرعة، وكان موعد عودتهما قريباً من موعد فحصي الحاسم، فكنت أقول لزوجتي: لا تحزني على فراقهما؛ لأننا سنراهما قريباً إن شاء الله في بلدنا البحرين...

كان يوم عودتهما حزيناً لي ولها، ولكني كنت دائماً أكرر جملة: «سنراهما قريباً في البحرين» ليأخذنا الحماس نحو الموعد الحاسم..

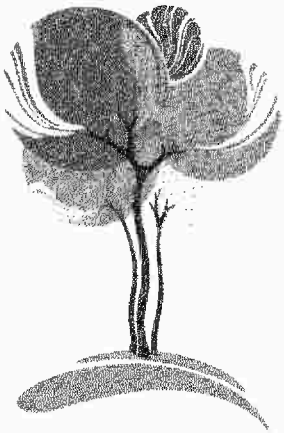

ترقب وحسم

لم أستطع النوم ليلة هذا اليوم، كان تفكيري منشغلاً به، كنت أحاول النوم، فتبوء محاولاتي بالفشل، أتقلب في فراشي حتى حان موعد صلاة الفجر، فاستيقظت، ودعوت الله في صلاتي بأن تكون نتيجة الفحص سليمة؛ لأعود مع زوجتي إلى أحبابنا سريعاً، وكنت قد اشتريت في الليلة التي مضت فطيرة سينابون، تركتها لوجبة الإفطار، وضعتها أمامي بعد أن انتهيت من صلاتي، أكلت منها قطعة صغيرة، فلم يترك لي التوتر شهية للأكل، ثم قمت بتغيير ملابسي للذهاب إلى الفحص.

وصلنا إلى المستشفى، دخلنا إلى قسم الأشعة، نادتني اختصاصية الأشعة، وسألتني:

ما اسمك؟ وما تاريخ الميلاد؟ أجبتها باسمي وتاريخ ميلادي، وكان أول الأسئلة التي وجهتها لي: متى كانت آخر وجبة أكلتها؟ أجبتها بأني أكلت قطعة صغيرة من السينابون قبل ٣ ساعات! فغضبت، وقالت: كان عليك الصيام لهذه الأشعة، ونسبة السكريات والدهون في قطعة السينابون الصغيرة عالية جداً، ولن نستطيع عمل الفحص هذا اليوم، وعليك أن تأخذ موعداً آخر وفي يوم آخر بسبب كثرة المواعيد لهذا الفحص! أصابتني بصدمة قوية، لم أعرف ما أفعل! كنت أنتظر هذا اليوم من ثلاثة أشهر! وتسبب لي قطعة السينابون الصغيرة كل هذه المشكلات! ثم ذهبت الاختصاصية، وعادت لي قائلة: لحسن حظك أنه يوجد عندنا مريض قد ألغى موعده لهذا اليوم، عليك أن تنتظر أربع ساعات لبدء الفحص... فحمدت ربي، وشكرته على تيسيره؛ لأنني كنت سأندم ندماً شديداً بسبب هذا الخطأ التافه..

وبعد أن حان موعد الفحص، ذهبت إلى قسم الأشعة، وقابلت الطبيبة نفسها، ثم قامت بسؤالي أسئلة أخرى وأعطتني بعض الأدوية الوريدية الخاصة بالأشعة مع بعض السوائل الثقيلة...

دخلت إلى الجهاز وكلي أمل في الشفاء؛ لأن من كان مع الله كان الله معه، وكنت محسناً ظني بالله ومتيقناً بأن الله لن يخيب رجائي ودعاء أهلي وأحبابي... قضيت ساعتي الفحص، ثم خرجت بعدها إلى زوجتي، وقلت لها: «سنفرح غداً بإذن الله».

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ
وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

وتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

المتنبي

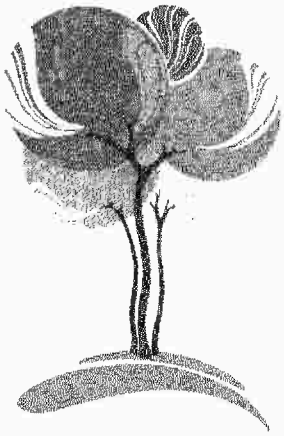

توأم حاسمة

ذهبنا ذلك اليوم إلى المستشفى، وشاركنا خال زوجتي وعائلته حرصاً منهم على دعمنا ورفع معنوياتنا، دخلنا إلى قاعة الانتظار في العيادة وجلسنا، كنت أسمع دقات قلبي، وأنا أنتظر، زوجتي تحاول تهدئتي، ولكني كنت أعلم يقيناً أنها كانت قلقة أكثر مني في داخلها... انتظرنا حتى نادتنا الموظفة: «حمود حمود» خطونا إلى غرفة الطبيبة بشعور ممتزج بين التفاؤل والقلق، ولما دخلنا إلى غرفة الطبيبة كانت قلوبنا قد بلغت الحناجر، ثم دخلت علينا الطبيبة بعد دقائق قليلة... وقالت لنا:

اطلعت على أشعة الـ (PET scan) التي عملتها، وكانت نتيجة الفحص أنك (شفيت) من المرض! نظرت إلى زوجتي، ثم إلى الطبيبة، فسألتها: هل أنت تمزحين؟ قالت: لا، إنها الحقيقة، فحمدت الله عز وجل وشكرته، ولم أعرف ما أفعل، فضممت زوجتي بشدة والدموع تملأ أعيننا، وقلت لها: هذا ما وعدنا الله عندما تلقينا خبر المرض في آيته الكريمة: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ والحمد لله الذي بلغنا هذا اليوم، ثم قامت الطبيبة بالنصح والإرشاد للمرحلة المقبلة، وأخبرتنا بأن النتيجة لا تعني ضمان عدم عودة المرض! والأهم عدم الانقطاع عن زيارات المراجعة والابتعاد عن مخالطة الناس في المرحلة المقبلة بسبب تدني مستوى المناعة.

وقررت بعدها إزالة قطعة الـ (chest port) من على صدري، وذلك يستوجب إجراء عملية جراحية بسيطة وفصل الأنبوب الموصل إلى معدتي؛ لأن ذلك يمثل خطوة الشفاء الأولى، فلم أعد في حاجة إليهما لذهاب السبب الذي وضعا من أجله، وكانت إزالتهما بمنزلة إحراز الميدالية الذهبية في مسابقة الرجل الحديدي والأولمبياد... الحمد لله.

خرجنا من الغرفة إلى قاعة الانتظار، وأول ما رأيت خال زوجتي، قلت له بصوت عالٍ: «شفيت، الحمد لله» ضمني بحرارة وهنأني، ورأيت الفرحة في وجوه الجميع، ثم قمت بالاتصال بوالدتي ووالدي، وكانت دموعي تنهمر، وأنا أكلمهما، وأسمع فرحتهما ومن حولهم، ثم انهالت علينا الاتصالات بالتبريكات والدعاء من الأهل والأحباب، وخرجنا لتناول وجبة الغداء بهذه المناسبة السعيدة، وعدنا إلى الشقة فرحين مسرورين سعيدين...

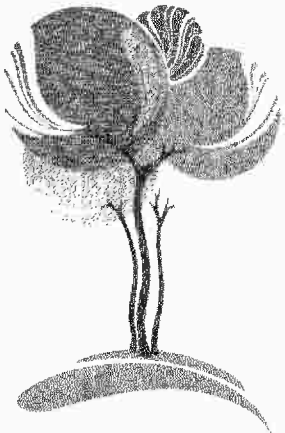

وتحلو الحياة

وما إن عدنا إلى الشقة قلت لزوجتي: «أريد العودة إلى البحرين خلال يومين» قالت لي: «مستحيل، لدينا الكثير من الأدوية والأغراض لوضعها في الحقائب وشحنها!» لم أكترث لأي شيء سوى العودة إلى البحرين، قمنا بمحاولة ترتيب الحجوزات، ولم تتوافر لنا الحجوزات إلا بعد أربعة أيام، شعرت بالحزن؛ لأنني أردت العودة في وقت أسرع من ذلك...

كنت أستمع إلى نشيد الشيخ مشاري العفاسي (فاز الذي حاز) في أثناء تجهيز الحقائب كل يوم؛ لأنه يشعرني بطعم الفوز حقّاً، مضت الأيام ببطء

غريب، حتى حان يوم العودة، استيقظنا صباح ذلك اليوم سعيدين بأن مشوار العلاج قد انتهى... ذهبنا لتوديع الأطباء والممرضات، كانت لحظات الوداع حزينة، فقد قضينا قرابة السنة معهم، وضعوني في كثير من المواقف المحرجة، أرادوا معانقتي لتوديعي! وهم يعلمون امتناعي عن المصافحة، المضحك في الموضوع أنهم يجيبونني بـ(أصبحت صديقنا، المصافحة تكون من غير حائل، أما المعانقة فتكون من فوق الثياب) هههههه علي تفهم موقفهم بحسن النية بسبب طبيعة مجتمعهم وثقافتهم، لكنه يجب عدم التنازل عن المبادئ والقيم التي حثّنا عليها ديننا الحنيف.

رجعنا إلى الشقة، وقمنا بتوديع الجيران والعاملين في المبنى، ثم قمنا بتوديع الأخ رضا وشكره على دعمه ووقوفه معنا طوال مدة العلاج، ثم توجهنا إلى المطار للمغادرة إلى الوطن الغالي مملكة البحرين.

انتهينا من إجراءات السفر، ثم توجهنا إلى مدخل الطائرة للانتظار، وعندما سمعنا نداء

الدخول إلى الطائرة شعرنا بأن الأمر حقيقة وليس حلماً.. وأقلعت الطائرة متوجهة إلى مملكة البحرين...

غداً يُجاب الدعاء، ويستهل اللقاء

غداً يكون الشفاء طيراً يردد لحناً

عبدالمحسن الطبطبائي

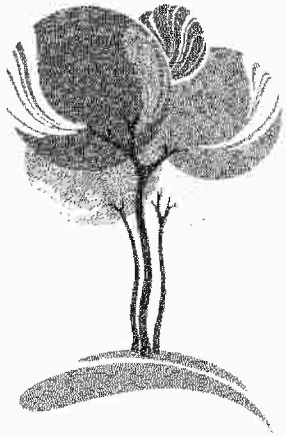

عودة محارب

عندما شاهدت أرض البحرين في الجو وقبل أن تحط الطائرة على الأرض، نزلت دمعتي على خدي، وقلت في نفسي: «قد تحقق الحلم، عدت إلى البحرين بعد فراق قارب السنة» وما إن حطت الطائرة، هرعنا مسرعين إلى منطقة تسلّم الحقائب، ووجب علي لبس الكمام والحذر بسبب ضعف جهاز المناعة، كان والدي أول المستقبلين والمهنئين، فقبلته وضممته شوقاً وحناناً بعد فراقنا الأخير في أثناء مدة علاجي، ثم جاءت أختي التي لم أرَها طوال مدة علاجي، وكانت في شهرها الأخير من حملها، فضممتها شوقاً

بعد هذه المدة الطويلة... ثم أتاني خال والدتي يستقبلني بابتسامته المنيرة...

وما إن خرجنا إلى منطقة استقبال المسافرين حتى انهال علينا الأهل والأحباب كلهم، اختلطت المشاعر بين دموع الفرح والضحك... استقبلونا بالورد مشتاقين فرحين بعودتنا، كنت أبحث عن أمي أريد أن أضمها، فسمعتها تبكي، وهي تقول: «آيه عليه ولدي رجعلي» فهرعت نحوها، وضممتها ضمّة لا يسعني التعبير عنها...

ثم التقطنا صوراً تذكارية مع الأهل والأحباب بهذه المناسبة التي لن أنساها أبداً ما حييت، وعدنا إلى المنزل في مسيرة بالسيارات كان قد تم التخطيط لها مسبقاً لمفاجأتي....

وتوالت علينا الأيام بزيارات الأقارب والأصدقاء والأحباب، وكنت أحمد الله ﷻ دائماً على نعمة الشفاء والعودة إلى المنزل بين أهلي وأحبابي بعد الذي مررت به.

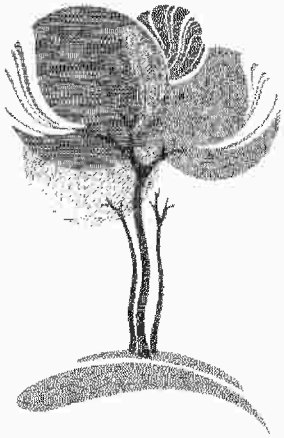

نهاية البداية

لم أتوقع تجاوز مراحل المرض والوصول إلى هذه النهاية، لم أصدق أنني مررت بكل هذه الأحداث، وأنا أكتب مجريات العلاج، اليوم عدت إلى الحياة... عدت حمود ذلك الشاب الطبيعي، عدت لأعيش حياتي الطبيعية بفضل الله، عدت إلى صلواتي الخمس في المسجد وسماع صوت الأذان، عدت إلى وظيفتي وممارسة الرياضة في النادي الصحي، عدت إلى الأعمال التطوعية والخيرية، عدت إلى لمة الأهل والأصدقاء، عدت إلى الدراسة، ونلت كثيراً من الشهادات الاحترافية العالمية في مجال تخصصي،

لم أنقطع عن زيارات المراجعات، ومازلت أعاني فقدان نعمة اللعاب في فمي والجفاف وصعوبة في البلع وفقدان جزء من الشعر، وأعالج من آثار العلاج الجانبية...

وأخيراً...

مرض السرطان علاجه واحد، أناس تموت وأناس تشفى على نفس الدواء والجرعات... يكمن السر في توفيق الله عز وجل... فمن يعش على الأمل فلن يعرف المستحيل، اقبل التحدي، وواجه المرض بآلامه، فلن تعيش الحياة مرتين، لست إنساناً خارقاً عن العادة حتى أصل إلى هذه النتيجة، ولا أدعي المثالية، على المريض أن يحسن ظنه بالله، وأن يتيقن أن بعد العسر يسراً، وأن لكل ضيق مخرجاً، وأن الذي ابتلاه قادر على شفائه، وأن الله مع الصابرين....

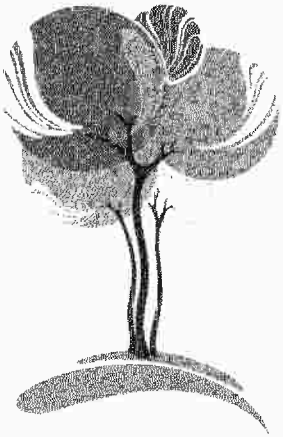

نصيحتي لمريض السرطان:

1. لا تجزع عند سماعك خبر إصابتك بالمرض، واحتسب الأجر.
2. استعن بالصبر والصلاة؛ فإنهما مفاتيح السعادة.
3. الإيمان الحقيقي بالقضاء والقدر يزيل همّ وشعور صدمة الخبر.
4. مواجهة المرض تحتاج إلى قوة، تستلهمها بقوة صلتك بالله.
5. اقرأ ورداً يومياً من القرآن، زد قربك من الله قدر الإمكان.

٦. عليك بكثرة الدعاء، واستشعر بقلبك، وأنت تشكو حالك إلى الله.

٧. عليك بالصدقة، قال ﷺ: (صدقة السر تطفئ غضب الرب)[1].

٨. كن صاحب عزيمة وإرادة وهمّة عالية في مواجهة المرض.

٩. لا تلتفت إلى وساوس الشيطان.

١٠. حاول أن تتأقلم مع المرض وأعراضه (تساقط الشعر - شحوب الوجه - التعب والإرهاق والخ...) فالآخرة هي الحياة الحقيقية والدنيا مردها إلى زوال، وكل شيء سيعود إلى ما كان عليه بعد انتهائك من العلاج بإذن الله.

١١. كن إيجابياً، ولا تلتفت إلى كلام الناس وسلبياتهم؛ كي لا تصاب بالإحباط.

١٢. لا يحطمك اليأس في أثناء تلقيك العلاج، فلكل مرحلة أعراض تختلف عن الأخرى، وعليك بالصبر لتصل إلى خط النهاية.

(١) صححه الألباني (رقم ٣٧٥٩).

١٣ تذكر دائماً أن بعد العسر يسراً، وأن بعد التعب راحة، وأن بعد الظلام بزوغ النور.

١٤ دع القلق وتفاءل بالخير.

١٥ لا تلازم السرير وتنغلق، بل اخرج وعش حياتك مع التزامك بإرشادات الطبيب.

١٦ تذكر أن هناك من حالته أسوأ منك.

١٧ تحدث إلى طبيب نفسي إذا كنت تشعر بيأس وضيق.

١٨ الموت حق، لا يعرف صغيراً أو كبيراً، فالكل ميت في يوم من الأيام، سواء بمرض/حادث سير/موت طبيعي؛ فلا تهتم لهذا الشأن.

١٩ استمع إلى إرشادات الطبيب، واتبعها بحذافيرها.

٢٠ أخبر الطبيب بكل ما تشعر به من آلام، ولا تضع لنفسك حاجز (أستحي الدكتور يقول عني كثير السؤال).

١٤ يسبب العلاج نوعاً من التوتر والغضب لدى المريض، فأحسن إدارتهما؛ لئلا يؤثرا فيك.

١٥ تواصل مع الأهل والأحباب، ولا تنقطع عن العالم.

١٦ دع نفسك تضحك وتمرح، فالضحك والمرح يجلبان السعادة، ويساعدانك على تخفيف آلامك.

١٧ مارس رياضة المشي؛ لأنها تنسيك الآلام وتهدئ الأعصاب.

١٨ اعتبر المرض كأي نوع من الأمراض، وعش حياتك.

١٩ ابتسم لمن حولك، وابتسم لحياتك، ولا تفكر فيما يقلقك، فالقلق عناء.

٢٠ تحلَّ بالأمل؛ فإنه دواء، وعليك بالتفاؤل؛ فإنه رجاء.

٢١ تعلم وزد معلوماتك عن السرطان.

٢٢ استخدم علبة تقسيم الأدوية على الوقت واليوم لتنظيم تناول جرعات الدواء.

١٣. أكثر من تناول الطعام الصحي والمفيد لتقوية جسمك.

١٤. لا تقلل من أهمية مراجعات ما بعد العلاج، فهناك كثير ممن استهتر بالمراجعات، وعاد إليه المرض.

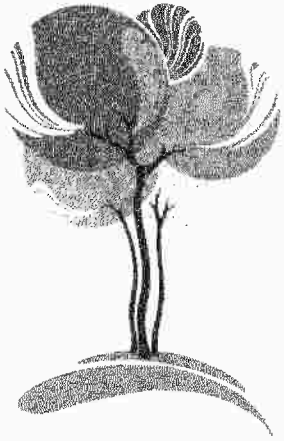

ماذا يحصل بعد الكيماوي؟

تختلف الأعراض من مريض إلى آخر، ولا يشترط حدوثها كلها:

1. التعب والإرهاق.
2. الشعور بالغثيان وكثرة التقيؤ.
3. إسهال.
4. إمساك.
5. ضعف الذاكرة وكثرة النسيان.
6. آلام في الجسم.

٨. فقدان الشعر.

٩. فقدان للشهية.

١٠. فقدان للوزن.

١١. الشعور بطعم غريب في الفم.

١٢. الشعور بتخدر وفقدان الإحساس في بعض مناطق الجسم.

١٣. ضعف البدن.

١٤. صداع ووجع.

١٥. التهابات في الجلد.

١٦. العصبية والمزاجية.

١٧. الإصابة بالدوار والدوخة.

١٨. اضطرابات في النوم.

١٩. الحازوقة (البوفاق).

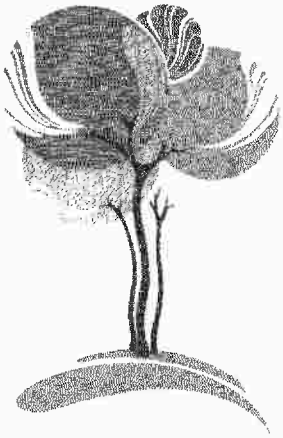

ماذا يحصل بعد الإشعاع؟

هناك كثير من الآثار الجانبية للعلاج بالإشعاع، وتختلف من مريض إلى آخر بحسب المنطقة المعرضة للإشعاع:

١. فقدان الشهية والوزن.
٢. فقدان الشعر في منطقة العلاج.
٣. الشعور بالغثيان والتقيؤ.
٤. مشكلات في منطقة الفم وصعوبة في البلع.
٥. هيجان المنطقة المعرضة للإشعاع.
٦. الشعور بالإرهاق المستمر.
٧. الجفاف.

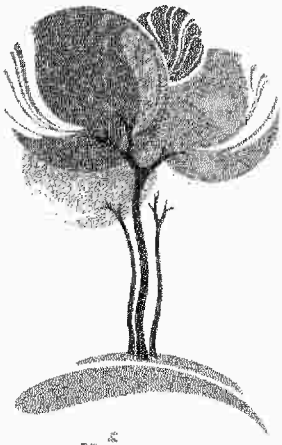

نصائح لأقارب المريض وأصحابه

١. لا تكونوا سلبيين، وتجعلوا حياتكم كالعزاء.

٢. اضبطوا العواطف.

٣. يحتاج المريض إلى التفافكم ودعمكم.

٤. كونوا قريبين من المريض.

٥. أدخلوا عليه الفرح والسرور.

٦. جنبوه الكلام السلبي.

٧. تواصلوا معه.

٨. ابتعدوا عن تقبيل المريض وعليكم بتفهم ذلك؛ لأنه عرضة لانتقال أي عدوى بسبب ضعف جهاز المناعة لديه.

٩. تقديم الرعاية للمريض يتطلب شجاعة ومرونة وتحلياً بالصبر.

١٠. تقبلوا التغيرات المزاجية للمريض بصدر رحب.

١١. ادعوا له بالشفاء.

١٢. احتسبوا أجر رعاية المريض.

١٣. تقبلوا مزاجيته؛ لأنه يمر بأمور لا يعلمها إلا الله.

١٤. تجنبوا الأسئلة الخصوصية.

١٥. كونوا صبورين ومتفائلين، فإيجابيتكم النفسية تنعكس على المريض.

١٦. قدموا له الهدايا؛ لإدخال الفرح إلى قلبه.

١٧. لا تنظروا إليه نظرة المسكين؛ لأنها تحبط من عزيمته.

١٨. تحدثوا مع المريض عن المستقبل؛ لأنه أساس الأمل.

١٩. كونوا مشاركين نشطين في أثناء دخولكم العيادة مع المريض؛ لأنه يعطي المريض الشعور بالاهتمام.

٢٥ قراءة ومطالعة الموضوعات المتعلقة بالمرض واتباع الإرشادات.

٢٦ خططوا لعمل المفاجآت وأخذ المريض إلى (طلعة) لتناول وجبة في مطعم راقٍ.

٢٧ احرصوا على توفير الطعام الصحي والمفيد للمريض.

٢٨ كلنا لله وكلنا إليه راجعون، فإن رجع مريضكم إلى ربه فاحتسبوا أجر المصيبة، وأبشركم بما جاء في حديث الرسول ﷺ قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة)[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٢٤).

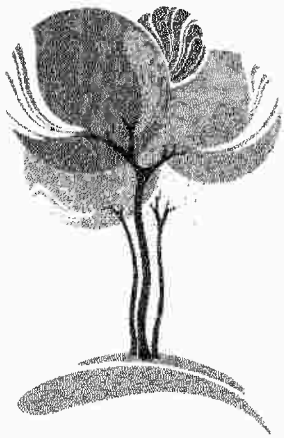

كيف تعرف أنك مصاب بمرض السرطان؟

علينا أن ندرك أن مرض السرطان ليس من الأمراض السهل ملاحظتها واكتشافها؛ لأنه من الممكن حدوثه في أي منطقة في الجسم، وتختلف أعراض المرض باختلاف مكانه ونوعه، فمنهم من تكون أعراضه مرئية، كبروز جسم غريب في الجسم بما يسمّى الورم لا سمح الله أو اصفرار في الجلد لبعض أنواع السرطانات، نزيف، آلام، وتختلف أحياناً وتكون منتشرة على مناطق الجسم: كانخفاض الوزن، فقدان الشهية، ارتفاع مستمر وشديد لدرجة الحرارة مدة طويلة، التعرق الشديد، فقر دم، تعب وإرهاق ملحوظ في الجسم.

ومن الممكن للمريض أن يشعر داخلياً بالمرض بسبب العلامات الجديدة الطارئة عليه، ويجب أن نعلم أنه لن تخرج رسالة مباشرة من الجسم أو صوت يقول: (لديك سرطان!) علينا أن نأخذ الأمور بمحمل الجد تفادياً للتأخير الذي قد يؤدي إلى ما هو أسوأ؛ لأن التحدي يكمن في سرعة التشخيص والعلاج.

أنصحكم بالذهاب إلى الأطباء المتخصصين ذوي الخبرة مباشرة وعدم التأخير والتسويف، وأخذ آراء مختلفة حول التحاليل، وإذا لم تشعروا بالاطمئنان للآراء في بلدكم، راسلوا المستشفيات المشهورة والمعروفة في الخارج، وسافروا إليها إذا لزم الأمر.

استفسروا ممن حولكم من المتعافين والمرضى الذين لا يزالون تحت العلاج لاختصار الوقت.

هناك نقطة ضرورية، لا تخف من كل ورم، فقد يكون حميداً، وتجنب الوسواس الذي يحوم حول المرض، والأعراض المذكورة لا تُعطِ مؤشراً مؤكداً بالإصابة، ولن تعلم إصابتك بالمرض إلا بعد أخذ الفحوص اللازمة كسحب الدم والأشعة وإلخ...

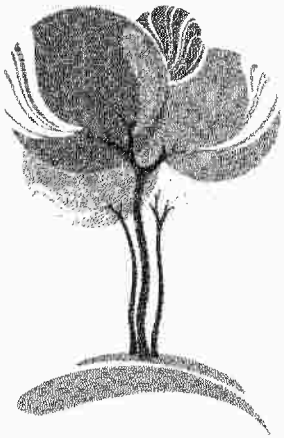

السيرة الذاتية للمؤلف

- حمود جاسم بن حمود.
- مواليد مدينة الرفاع - مملكة البحرين.
- بكالوريوس تقنية المعلومات، تخصص أمن المعلومات من جامعة نيويورك للتكنولوجيا.
- دبلوم في العلوم الشرعية من معهد الإمام أحمد بن حنبل.
- إداري شبكات حاسب آلي أول.
- رئيس جمعية شباب الدعوة.
- مهتم بالشأن الشبابي.
- حاصل على جوائز في العمل التطوعي.